



99-66043

put Nov. 1642

1



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

MAN - LIBRARY

TY

17.

١٥

کتاب

فَضْلُ الْعَطَاءِ عَلَى الْعُسْرِ

مَوْلَى هَذَا الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ الْقُتَيْبِيِّ

P3
 2530
 A7X
 1934



صحيحه وحققه وعلق عليه

محمود محمد شاكر

القاهرة

۱۳۵۳

School of Oriental Studies

67

The American University at Cairo

عُنِيَ بِشِيرِ

المطبعة السليمانية - ومكة المكرمة
لصاحبها محرم الدين الخطيب

H.T.
297/345
as A7 u

٨١٠
ع. ١٤ ف

C-71849

17306

حقوق الطبع محفوظة

71849

مقدمة الكاتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وبعدُ فإن كتابَ فضل العطاء على العُسْرِ لأبي هلالٍ الحسن بن
عبد الله بن سهل العسكري ، مرآة تنعكس عليها فضيلة من فضائل
العرب لا يكاد يضارِعهم فيها غيرهم من أُمم الارض ، وهو على ذلك سفر
من أسفار الادب العربي التي يرغب فيها الناس لما يجدونه فيها من مُتعة
وفائدة ، وقد سبق الى نشر هذا الكتاب في سنة ١٣٢٦ الاديب
الفاضل الاستاذ محمود الجبالي باسم (كتاب الكرماء) ، فلما صارت
نسخه عزيزة على طلابها رجوتُ صديقي الاديب الضليع الاستاذ محمود
محمد شاكر أن يقوم بتصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه ، فقام بذلك
على الوجه الاكمل ، وردّ الى الكتاب الاسم الذي سماه به مصنّفه رحمه
الله ، فجاء كما يرى القارئ زينة المكتبة العربية . فشكراً للاستاذ
السيد محمود شاكر على هذه المأثرة ، وأرجو الله أن يجزيه عن وعن
المؤلف والقراء أفضل ما يجزي به عباده العاملين

می لکھی تھی

كَلِمَةٌ

TY

الج

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ »
فَقَالَ : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورُ تَدْخِيلِهِ عَلَى مُسْلِمٍ ... تَكْشِيفُ عَنْهُ كَرْبَةٍ ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جَوْعًا . وَلَأنَّ أَمَشِي مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا .
وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ - وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَمْضِيَهُ أَمْضَاهُ - مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًا ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمِيهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ »

وَلَمْ أَرِ فِي الْحَيَاةِ أَضَلَّ مِنْ رَجُلٍ يَبْسُطُ لَهُ اللَّهُ مِنْ نِعْمَتِهِ وَبَرَكَتِهِ وَيَعُدُّ لَهُ أَسْبَابَ الْغِنَى وَلَوْ شَاءَ لَمَنْعَهُ ثُمَّ لَا يَجِدُ بَيَانًا يَشْكُرُ بِهِ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَدَّهُ مِنَ الرِّزْقِ أَبَيْنَ مِنْ حَرَمَانِ أَخِيهِ مِنَ النَّاسِ فَضْلَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ

نَمْ لَا أَدْرِي كَيْفَ لَا تَنْبَسُطُ نَفْسُ امْرِئٍ بِالْعَطَاءِ وَهُوَ يَعْقِلُ ! ؟ أَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى نَشْأَتِهِ وَنَشْأَةِ أَخِيهِ ، وَكَيْفَ كَانَ كُلُّ مِّنْهُمَا طِفْلًا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَاهُ اللَّهُ وَمَنْعَ أَخَاهُ ، وَكَرَّمَهُ بِنِعْمَتِهِ ، وَحَرَّمَ أَخَاهُ ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ ، وَأَحْوَجَ أَخَاهُ . أَفَلَا يَعْلَمُ أَنَّ لَوْ يَشَاءُ

الله لكان هو المحروم الممنوع الذي تُصَرِّفه الحاجة وتسوقه الضرورة وتضربه حوادث الأيام، أم أطلع على الغيب فرأى ما آتاه الله باقياً عليه، فما يخشى تقلب الدهر به، ولو كان ذلك لكان آخرى بالبذل وأجدر بالجود وأبعد عن الشح

ولكن... ولكن غيّرت الأيام فطرة الله التي فطر الناس عليها فراغت طبائع قوم عن رَشْدِها وصرَّفها الهوى وقادتها الشهوات، فزَيْن لهم أمر الدنيا فذسوا وغفلوا وضلُّوا وأضلُّوا وكان أمرهم فرطاً. والفطرة الأولى في الإنسان فطرة مستقيمة لا زَيغ فيها ولا عِوج، لأنه - كان - لا يبالي بشيء من أمور الحياة إلا بما يقيم صلبه ويردُّ شهوة الطعام، وما يقيه لذعة البرد، ويدفع عنه وقدة الشمس، وما فضّل عن ذلك من أمر الدنيا فسبيله سبيل كلِّ ما لا يعنى ولا يفيد. وكان الحرص.... ولكنه كان حرصاً في حدود من الإنسانية البريئة المصفاة كان حرصاً على بعض أسباب الحياة مما يقيم الأود ويسد الخلة ويبقى مصارع الضر، ثم امتدَّ مع الزمن والحضارة والعُمران والشهوات حتى أصبح حرصاً على كل أسباب الحياة من مالٍ وبنين ورُخفٍ ومتاع ومن غريب حكمة الله في الإنسان أن جَمَعَ فيه الغرائز كلها خيرها وشرها، مما تفرَّق في الحيوان كله، ثم منحه العقل المدبر المفكر الذي نقص من الحيوان كله، ليمهد بذلك للإنسان سبيل الرقي والتدرج. فلو استقامت غرائز الإنسان على طراز واحد لما كان هناك للعقل عمل ينفي

به شيئاً ويمكن لشيء ، ويُزَيَّفُ أمراً ، ويثبت آخر . وذلك لأن عمل العقل إنما هو في تنازع الغرائز فيه ، وهذا التنازع هو الذي يُرْهِفُهُ ويحدّه ويسوّغُ له القُدْرَةَ على الابتداع والاختراع ، واستنباط ما لم يكن بيننا وتبيين ما كان خفياً

على أن هذا العقل الذي أودعه الله تلك الفخّارة الصغيرة ، والذي هُيِّئَ ليقود الغرائز ويردّ من جماحها ويكسّر من شرّتها ، قد يذلّ للغريزة الجاحمة فلا تزال تجري به وهو في غبارها كالخبتل لا يستبين قبيل أمره من دبيره ، وفي هذا الذلّ الحقّ كلّ الحقّ للانسانية التي تميّز بها الانسان من سائر الحيوان . ولا تتجلى الانسانية في رجل إلا أن يكون عقله هو مدبّر غرائزه وقائدها وهاديها ، قائماً عليها لا تدركه الغفلة ، ولا يستبدّ به الهوى ، ولا تطوّحه النوازع . وفي هذا التركيب الحكمة العظمى في تدبير الخلق ، وتسيير الحياة ، وإيجاد التفاوت بين البشر ، ولولا هذا التفاوت لانساق الحياة في مجرى واحد لا يتغير ، ولا انقسمت مادة المَوْج الذي يعلو بالأمم وينخفض ، ولكان الانسان حيواناً يرعى المرعى ويتبع الكلاء ويتطلب الصيد ويأوى الى غار أو غاب أو كناس ولا يمدّ بصره الى ما وراء ذلك من أمر الدنيا والآخرة ، ولبقى على حالة واحدة من العمران والحضارة لا تسمو ولا تتدلى

ومن أظهر الغرائز في الانسان غريزة المنفعة ، فهو لا يفتأ يتطلب المنفعة لنفسه من كل وجه وفي كل سبيل ، ثم هي أكثر غرائز الانسان

TY

الج

تصرفا على حالين من المصلحة والضرر ، ولا يصرفها في هذين الوجهين
إلا العقل أو الهوى . فاذا استحكم العقل وَبَصُرَ قَادَهَا الى كل مافيه الخير
الانسانى المشرق ، واذا غلب الهوى واستبدَّ ضَرْبَ بها كل وجهٍ حتى
ترتطم في أنواع من الشرور وظلماتٍ من الضلال لا هادى فيها ولا دليل .
وعلى ذلك فهو أَسُّ الفضائل وِعِمَادُهَا أو أُمُّ الرذائل وغداؤها ، وعَمَلُ
العقل فيها إنما هو في نفي الأثرة عنها وتدريبها على السماحة والبنل
والشعور بالشركة في نعم الله التي مَنَحَهَا وجعلنا عليها قُوَّامًا وَسَوَّاسًا ،
وفي اخذها بالمذهب الصحيح في أن المنفعة التي تَخُصُّ ليست منفعة بل
ضرراً ، وأن المنفعة التي تَعُمُّ هي السعادة والصلاح ، وإن كان نصيب
الفرد في الثانية أو كس منه في الأولى . وعمل الهوى في هذه الغريزة إنما
هو في تصريفها بالأثرة ، والتفرد والاختصاص والحرص والضن
والشح وتفضيل مافيه صلاح الفرد على مافيه صلاح الجماعة

ومن هذه الغريزة القوية يستمد العسر واليسر - أو السماحة والشح -
الذان أفرد لهما أبو هلال هذه الرسالة في تقديم الأول على الآخر منهما .
وكان قصد السبيل في هذه الرسالة التي بين يديك أن نعرضها عليك
دون أن نُقَدِّمَ لها أو نُصَدِّرَ ، وما حملنا على كتابة هذه الكلمة إلا ما نجد
في الناس من الغدر والخيانة والشح في ساعة الجدِّ وأوانِ الخير ،
والاسراف والتبذير في كل مُهْلِكَةٍ مَبِيرَةٍ أو مَكْهَمَةٍ مُضِيعة ، ولقد
وجدنا أيضا كثيراً من أهلها لا يعلمون الاذراء على العرب وعاداتهم

وأخلاقهم ، ويعدون الكرم من تقائصهم . ويشكرون للأمم الاوربية
صنيعهم في الاقتصاد والتدقيق ، ويقولون ان الاوربيين ينصفون أنفسهم
وأهلهم حين لا يدعون أحداً الى طعامهم إلا أن يكونوا قد أعدوا له
العدة ، فاذا لقي الصديق منهم صديقه على حين غفلة لم يدعه الى داره
لان طعام داره إنما هو طعام أهلها لا طعام الناس من كل غادر رائج .
وهذه فتنة من التدليس على العقل باستبداد هوى الحرص والشح على
الغرائز الكريمة في الانسان ، وتسويل من النفس الامارة بالسوء ،
ومد من الطمع واغراء من الظن المريض في حيازة الدنيا ، ولو قصد
الرجل سواء السبيل لوجد أن أقل الدنيا كأكثرها في مصارف الحياة ،
وما يفرق بين قليلها وكثيرها إلا سحر الحياة الدنيا وشهواتها وزينتها
ولقد دخل عمر بن سعد بن أبي وقاص على عمر حين رجع اليه
من عمل حمص - وكان قد جعله والياً عليها - وليس معه إلا جراب
وإداوة وقصعة وعصا فقال له عمر - الخليفة الزاهد - ما الذي أرى بك ؟
من سوء الحال أم تصنع ؟ قال : وما الذي ترى بي ؟ أأست تراني صحيح
البدن ؟ معي الدنيا بخدا فیرها . قال : وما معك من الدنيا ؟ قال معي
جرابي أحمل فيه زادي ، ومعى قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعى إداوتي
أحمل فيها مائي لشرابي ، ومعى عصاي ، إن لقيت عدواً قاتلته ،
وإن لقيت حية قتلته . وما بقي من الدنيا تبع لي ما معي
فهذا هو النظر الصحيح الى أمور الدنيا عليها وسافلها ، قليلها

وكثيرها ، ولا جرم أن يكون مثل هذا الرجل من سادة الدنيا إذ لا يبالي « أوقع على الموت أم وقع الموت عليه » . ولا عجب أن تسعد أمة يكون سادتها وأغنياءها قد صححوا مقاييس الغنى والفقر على هذا المقياس الفطري الجميل حتى يصير هم المال في بذله والسماحة به ، لا في قبضه والحرص عليه ، ويبطل هذا العمل الفاسد الذي انتظم أكثر المدنيّات والذي استبدّ بالمدنية الحديثة فدّت الفتن أعناقها في كل مكان بوجه من الاشتراكية والشيوعية ظالم كظالم

وليس الكرم والجود في بعثرة الأموال وإلقائها في الجذب والخصب بغير حساب ولا ميزان . بل الكرم في بذل المال في الأرض الصالحة الطيبة ، التي تنبت نباتاً حسناً يزكو فينفع الناس ويزيد في الخير ، والجود إرسال المال على الأرض التي تحيي به وتتحلّى ، وما سوى ذلك من إراقة المال في غير وجه مقصود ولا غاية مستبينة إسراف وإتلاف المال وصاحبه وآخذه

ولا أدري لم يترك الرجل جاره غرناً طاوياً وهو ينال من أطيب الدنيا وخيراتهما ما تمتد إليه عينه وتناله يده ؟ ولو هو نبذ من فضل ما ينال إلى جاره المسكين لأحياه ، واستودعه حسنة باقية في قلبه ما أورق عود ، وما أهل مولود . إلا أن مطالب الحياة والمدنية خاصة قد تخذعت الناس عن قلوبهم فما تجد رجلاً مموّلاً ينبض قلبه مع قلوب أهله في الضراء والبؤسى ، يشعر بما يشعرون

ويبكي لما يبكون ويتألم مما يتألمون . بل يتعبده الهوى بالحرص
على ما في يده لما يتوهم من أحداث الزمان وتصريف الأيام ، ولو
أنصف الناس وأرضى هواه لحرص على بعض وادّخر بعضاً منه في
قلوب شاكرة وأفئدة ذاكرة ، فلا يذكر اسمه يوماً موصوفاً باللعنة
فيقال فلان البخيل وفلان الخريص وفلان الشحيح
وما أحسن ما يستودع الرجل الحسنات عند الناس أدوها
أو خانوها... ما يبالي أن يقال فيه :

سأشكرُ عمراً ما تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
ففي غير محبوب الغنى عن صديقه ولا يظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
ولا يحسبن أحدنا ندعو الناس إلى الفوضى في إرسال المال ولا
أننا نؤم بهم إلى سبيل من فساد الدنيا وأطراح زينة الحياة ، بل الأمر
كله في هذا الداء الذي استبطن القلوب قبض الأيدي عند الضرورة
الداعية إلى البذل ، وفي هذا التجهّم البغيض في وجه السائل والمحروم
وفي هذا الإحجام الباغى عن فعال الخير ؛ حتى اضطرب جبل الحياة
في أيدي الناس وهب (الاقتصاديون) يريدون المخرج من الأزمات
ودعاة السلام يتوَجَّسون أن تحلّ بالعالم كارثة من دوى المدافع وتحليق
الطائرات فتخر المدنية على رءوس أهلها بالعذاب والدمار واليتم والفقر
والهلاك

وكيف يرغبون المخرج ويدعون إلى السلام وما من رجل إلا وهو
أحرص على المال من حرصه على أهله وبنيه ، وكيف يرغبون المخرج
ويدعون إلى السلام والأغنياء لا يملكون شهواتهم ولا يفترون عن إرسال
المال في كل سبيل إلا سبيل الفقر والمسكنة ، وكيف يرغبون المخرج
ويدعون إلى السلام وما من نفس تطيب برد شهوة من شهواتها لترد
على فقير روحاً على وشك قلعة وارتحال

ألا إن العيب أن يحاول أحد من السوأس والقادة إنقاذ العالم
مما يرتطم فيه ، بالمؤتمرات والكلام المملق والعلم المتعالى ، وكيف يداوون
داءً مستبطناً قد تلبس باللحم وخالط الدم وجرى من ابن آدم مجرى
الحياة ، كيف يداوونه بدواء لا يصل إلى موضع الداء في أحد من أهل
هذا العالم . إن كلامهم ككل كلام يلقى إلى قلوب غير صاغية وآذان غير
واعية ، ولا أمل في استنقاذ العالم مما هو فيه إلا بدواء يتناول الأمم أمة
أمة ، والطوائف طائفة طائفة ، والرجال رجالاً رجالاً فينفضها لينفى عنها
الخبث والوضر حتى تعود بيضاء نقية

ألا وإنه لا أمل في استصلاح ما أفسد الدهر إلا برجوع العالم إلى
فطرة الاخلاق الكريمة والفكر المتوقد البسيط الذي لا تعقيد فيه ، والشعور
الحى بالأخوة بين الناس ، والسماحة الأولى التي كانت بين الناس . أما
أن تطلب إلى رجل أو طائفة أو أمة تقدم الشهوات والأهواء على المنافع
المشتركة بين الناس أن تجود أو أن تحط لك شيئاً من الأشياء تقتضى

المنفعة العامة حظه وإسقاطه ، فانظر الى الجبل إن نفخت فيه هل يطير
أو يضطرب !

لا أمل ، لا أمل إلا أن ترى الرجل يلقي أخاه من الناس في ضنك
وضيق ، فيغمه أن يراه حتى يمدل إليه ما علا وما عز ، حتى تنكشف
الكربة وتتقشع ولو أصابه ما يصيب

وصدق رسول الله ﷺ « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد
لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه »

محمود محمد شاكر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

كتب الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
الأديب إلى بعض الرؤساء :

« جعل الله السيّد في حيز السلامة ومَحَلَّة (١) الشكر ،
كما آتاه من الفضل ... ما تداني دونه شأؤ الوصف والدّ كر ؛
ووفر الفواضل عليه ، كما قيّض الفضائل له ؛ ولا أزال عن الكرم
ظِلِّه ، ولا أزل عن الشرف رحلَه (٢) ؛ وأبقاه بقاء مُذَيَّلًا بالتمام
مُطرزًا بالأكرام ، ما رسائبير ، واختلف ابننا سمير (٣) إِيَّاهُ حميدٌ
مُجيدٌ فعَالٌ لما يُريدُ

(١) في الأصل « وجله » ، وارتضيّنا « المحلّة » التي هي منزل القوم
لتحسن المقابلة بينها وبين قوله « حيز السلامة »

(٢) في الأصل « رجله » والصواب ما أثبتناه ، وأزل فلان فلانا
عن مكانه : نَحَاهُ عنه

(٣) ثبير : من أعظم جبال مكة بينها وبين عَرَقة . وابننا سمير :
يقولون سمير الدهر وأبناءهما الليل والنهار . وهذان مثلان للدوام والثبوت

الجلود - أيد الله السيد - إذا كان عن يسار وجدة ، وإثراء
 وسعة ^(١) ، واجب لا يسع إلا خلال به ، ولا يَجْمَلُ التقصير فيه
 والمشاهد ^(٢) أن المرء إذا أمسك مع الكثرة ، وبخل مع الثروة ،
 تناوله اللوم من كل وجه ، وانتزع إليه الدم من كل جانب ؛ فهو
 المدفوع إلى السباحة ، والمحمول على الإثالة ؛ ليبعد من اللوم ،
 وينزّه عن الذم . وليس يدلّ بذله وإن جزل ، وبرّه وإن كمل ،
 على كرم أصلي ، وسماح عنصري ، كما يدل عليه جهْد المقل ،
 ومواساة المخل ^(٣) ومن لم يعط من اليسير ، لم يعط من الكثير .
 وقد قلت :

من لم يُواسِك في قليلٍ لم يُواسِك في كثيرٍ

(١) في الأصل « وضعة » ولا معنى لها هنا ؛ والجدة : من قولهم
 وجد « في المال ، بفتحين » يجد « بكسر الجيم » استغنى غني لا فقر
 بعده . و « الحمد لله الذي أوجدني بعد فقر » أي أغنانني

(٢) في الأصل « والشاهد »

(٣) المخل : بضم الميم وفتح الخاء المحتاج الفقير من قولهم أخلّ

به بالبناء للمجهول : أي صار ذا خلة وفقر وحاجة

والحقُّ يَلْزَمُ في الكثير وليس يسْقُطُ في اليسيرِ
وقال الأول :

ليس جودُ الجوادِ من فضلِ مالٍ إنما الجودُ للمُقِلِّ المواسي
والعرب تقول : « أَعْطِ أَخَاكَ مِنْ عَقَنْقَلِ الضَّبِّ »
(وعقنقل الضبُّ مُصْرَانُهُ) (١). أي أنك إن لم تملك إلا معي
ضَبٌّ فلا تبخل به على أخيك ، واجعل له منه قسماً ، وصير له
فيه سَهْماً) . ويقولون : « أَخَوِكَ مِنْ آسَاكَ » . وقال رسول
الله ﷺ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ »

وأخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد ، عن
الجوهرى ، عن المنقرى ، عن الأصمعى ، عن بعض العباسيين ،
قال : كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة :

بسم الله الرحمن الرحيم أطل الله بقاءك ، وجعله يمتدُّ
بك إلى رضوانه وجنته أما بعد ، فإنك كنت روضةً من
رياض الكرم تبتهجُ النفوسُ بها وتستريحُ القلوبُ إليها ، وكنا

(١) المصران جمع : مصير ، وجمع الجمع مصارين ، وهى الامعاء

جمع معى بكسر الميم وفتح العين

نُعْفِيهَا مِنَ النَّجْعَةِ^(١) اسْتَمَامَا لَزَهْرَتَيْهَا ، وَشَفَقَةً عَلَى نَضْرَتَيْهَا ،
وَأَذْخَاراً لِثَمَرَتَيْهَا ؛ حَتَّى مَرَّتْ بِنَا فِي سَفَرِ تَنَا هَذِهِ سَنَةً كَانَتْ
قِطْعَةً مِنْ سَنَى يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : اشْتَدَّ عَلَيْنَا كَلْبُهَا^(٢) ،
وَأَخْلَفَتْنَا غَيُومُهَا ، وَكَذَبَتْنَا بَرُوقُهَا ، وَفَقَدْنَا صَالِحَ الْإِخْوَانِ
فِيهَا . فَانْتَجَعْتُكَ ، وَأَنَا بَانْتِجَاعِي إِيَّاكَ شَدِيدُ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ ، مَعَ
عَامِي بِأَنَّكَ نِعْمَ مَوْضِعُ الرَّائِدِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَرِيمَ إِذَا اسْتَحَى مِنْ
إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ وَلَمْ يَحْضُرْهُ الْكَثِيرُ ، لَمْ يُعْرِفْ جُودَهُ وَلَمْ تَظْهَرْ نِعْمَتُهُ .
وَأَنَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ :

ظَلُّ الْيَسَارِ عَلَى الْعِبَّاسِ مَمْدُودٌ وَقَلْبُهُ أَبَدًا بِالْبُخْلِ مَعْقُودٌ
إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِيَ عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مُجْهَدٌ
وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سَوْدٌ
إِذَا تَكْرَهْتَ أَنْ تَعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
بُتَّ النِّوَالِ ، وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ ، فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مُجْمُودٌ^(٣)

(١) النَّجْعَةُ : طَلَبُ الْكَلَالَةِ فِي مَسَاقِطِ الْغَيْثِ

(٢) كَلْبُ الشِّتَاءِ : شِدَّتُهُ الَّتِي تَحْرِقُ الزَّرْعَ فَيَكُونُ الْقَحْطُ

(٣) الْأَبْيَاتُ رَوَاهَا الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ج ١٢ ص ٤٩١

قال : فشاطرهُ مالهُ حتى بعث إليه بقيمة نصف خاتمهِ
وفرد نعلهُ

وما مدحت العرب ولا تمدحت بمثل الإعطاء على العُسر
والمواساة على القلة . وذلك أن أكثرهم كان في شدة وإضاعة ، فلو
جعلوا ذلك حجة وقبضوا أيديهم عن صلة الغريب وبر البعيد ،
لارتفعت العوارف مما بينهم ^(١) ، وغاض الجود فيهم
وأُشيد عبد الملك بن مروان قول عروة بن الورد :

ونسبها أبو الفرج في أغانيه ج ٣ ص ٤٦ لبشار ، ونسبها صاحب المقد
ج ١ ص ١١٧ لحمد مجرد ولعل الصواب أنها للعتابي كلثوم بن عمرو
والعباس المذكور في البيت الأول هو العباس بن محمد بن علي بن عبد
الله بن العباس بن عبد المطلب ، من رجالات بني هاشم كان مقرباً
مبجلاً عند الرشيد وكان يدعو « عمه » . ولى الجزيرة سنة ١٨٥ وتوفي
في رجب سنة ١٨٦ وكان من أجود أهل زمانه رأياً وابلغهم لساناً وهو
القائل لرجل أتاه يستمنحه بقوله « أتيتك في حاجة صغيرة » فقال :
« اطلب لها رجلاً صغيراً »

(١) العوارف : جمع عارفة وهي صنائع الجود

أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ ، وَأَنْ تَرَى

بجسمي جَهْدَ الْحَقِّ ، وَالْحَقُّ جَاهِدُ (١)

وَأَنِّي امْرُؤٌ عَافٍ إِنَّا نِيَّ شِرْكَةٍ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافٍ إِنَّا نَكُّ وَاحِدَ (٢)

أَقْسَمَ جَسْمِي فِي جَسُومٍ كَثِيرَةٍ

وَأَحْسُو قَرَّاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ (٣)

فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَلِدَنِي أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا هَذَا

وَقَدْ أَحْسَنَ عَتِيبَةُ بْنُ بَجِيرٍ الْحَارِثِيُّ - مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ

كَعْبٍ - فِي قَوْلِهِ :

(١) الْحَقُّ مَا يَجِبُ مِنْ صَلَةِ الرَّحِمِ وَإِعْطَاءِ السَّائِلِ وَإِيوَاءِ ذَوِي

الْقُرْبَى وَقِرَى الضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ . وَالْجَهْدُ : مَا يَصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ

شُحُوبٍ وَمَرَضٍ حِينَ يَجْهَدُ نَفْسَهُ فِي أَدَاءِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ

(٢) الْعَافِيُّ : الطَّالِبُ الْقَاصِدُ

(٣) وَالْمَاءُ بَارِدٌ : يَعْنِي شَتَاءً ، وَقَرَّاحُ الْمَاءِ : مَا لَمْ يَخَالِطْهُ مَا يَطِيبُ

بِهِ مِنْ عَسَلٍ وَتَمَرٍ وَزَيْبٍ . وَالْآيَاتُ يَقُولُهَا عُرْوَةُ خَلَالَةَ قَيْسِ بْنِ زَهْرٍ

وَقَدْ تَلَّاحِيَا وَكَانَ قَيْسُ أَكُولًا بَطِينًا . وَانْظُرْ هَاهُنَا فِي الْعَقْدِ ج ١ ص ١١٨

وَالْمَالِي الْقَالِي ج ٢ ص ٢٠٤ وَالْكَامِلُ ج ١ ص ٣٦ وَالتَّبَرُّ يُزَى ج ٤

ص ٩٤ وَفِي رَوَايَةِ الْآيَاتِ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ نَظَرُ

- وَمُسْتَنْبِحُ بَاتِ الصَّدَى يَسْتَتِيهِهُ
إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهَوَى الرَّحْلَ جَانِحٌ (١)
فَقُلْتُ لِأَهْلِي : مَا بُغَامٌ مَطِيَّةٌ ؟
وَسَارَ أَضَافَتَهُ الْكِلَابُ النُّوَاجِحُ (٢)
فَقَالُوا : غَرِيبٌ طَارِقٌ طَوَّحَتْ بِهِ
مَتُونُ الْفِيَاثِي وَالْخُطُوبُ الطَّوَائِحُ (٣)
فَقُمْتُ ، وَلَمْ أَجْثُمُ مَكَانِي ، وَلَمْ تَقْمُ
مَعَ النَّفْسِ عِلَّاتِ النَّفُوسِ الشَّحَائِحُ (٤)

- (١) من عادة العرب أن يفتح طارق الليل نباح الكلاب لعل كلباً يسمعه فيجيبه . وفاعل ذلك هو المستنبح الذي يطلبُ بنباحه كالكلب أن يسمع نباحاً ، ويستتبهه : استعمل من (تاه) . ويريد بذلك أن صدى صوته قد جعله حيران لا يدري أيسمعُ نباحاً أم يسمع صدىً فلذلك بقي جانحاً في رحله لا يغادره خشية الضلال والهلكة
(٢) البغام : صوت الناقة الخفي حين تحن ، وقوله « وسار » الخ
يقول إن كلابه لما سمعت صوت المستنبح أجابته فكانها هي التي أضافته
(٣) الطوائح : المطوحات المهلكات ، وهو من النوادر كقوله تعالى « أرسلنا الرياح لواقح » وهي الملقحات
(٤) عِلَّاتِ النَّفُوسِ الشَّحَائِحُ : الأسباب التي تدعو إلى الشح ،

وناديتُ شَيْبَلًا فاستجابَ ، ورُبَّما
 ضَمِنَّا قَرَى عَشْرٍ لِمَنْ لَا انْصَافَ^(١)
 فقام أبو ضَيْفٍ كَرِيمٌ ، كَأَنَّهُ
 - وقد جَدَّ - مِنْ فَرَطِ الْفُكَاهَةِ مَازِح^(٢)
 إِلَى جِذْمٍ مَالٍ قَدْ نَهَكْنَا سَوَامَهُ
 وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقٍ صَحَائِح^(٣)
 جَعَلْنَاهُ دُونَ الذَّمِّ ، حَتَّى كَأَنَّهُ
 - إِذَا عُدَّ مَالُ الْمُكْثَرِينَ - مَنَائِح^(٤)
 إِذَا عُدَّ مَالُ الْمُكْثَرِينَ - مَنَائِح^(٥)

(١) شَيْبَلٌ : هُوَ وَلَدُ الشَّاعِرِ . يَقُولُ : وَإِنَّا لَنَضْمُنُ لِلضَّيْفِ لَا نَعْرِفُهُ
 ضِيَاةَ عَشْرِ لَيَالٍ (٢) فقام أبو ضيف : يَعْنِي وَلَدَهُ شَيْبَلًا وَيَقُولُ هُوَ
 لِلضَّيْفِ بِمَنْزِلَةِ أَبِيهِ يَرْعَاهُ وَيَحُوطُهُ وَيُجَادِثُهُ وَيَمَازِحُهُ
 (٣) جِذْمُ الْمَالِ : الْأَصْلُ الَّذِي يَنْتَجِجُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَنَهَكَ الشَّيْءُ
 تَنَقَّصَهُ وَقَطَعَ مِنْهُ ، وَالسَّوَامُ وَالسَّاعَةُ : مَارَعَى مِنَ الْإِبِلِ فِي الْفَلَوَاتِ ، يَمْدَحُ
 نَفْسَهُ بِأَهْلَاكِ مَالِهِ وَإِبْلِهِ فِي قَرَى الضَّيْفِ لِيَبْقَى عَرْضُهُ سُلَيْمًا صَحِيحًا لَمْ تَنْهَكْهُ
 أَلْسِنَةُ الطَّاعِنِينَ (٤) الْمَنِيحَةُ : الْعُطِيَّةُ وَالْجَمْعُ الْمَنَائِحُ . وَالْمَالُ : الْإِبِلُ .
 يَقُولُ : قَدْ جَعَلْنَا إِبِلَنَا الْقَلِيلَةَ فِدَاءً لَنَا مِنَ الذَّمِّ فَإِذَا عُدَّ أَصْحَابُ الْمَالِ
 الْكَثِيرِ مَا لَهُمْ مِنَ الْبَخْلِ وَالشَّحِّ كَانَ قَلِيلٌ مَا عِنْدَنَا مَبْذُولًا كَبْذَلِ الْعُطِيَّةِ
 الَّتِي تَكُونُ مِنْ فَضْلِ الْمَالِ

لنا حمدُ أربابِ المئينَ ، وما يرى
إلى يبتئنا مالاً مع الليلِ رائحُ
وأخذ هذا الغني اسحاق بن ابراهيم الموصليُّ فقال :
عطائي ، عطاءُ الكثيرين تكرماً
ومالي - كما قد تعلمين - قليلُ

وأخبرنا أبو أحمد ، عن الصولي ، عن الحسن بن يحيى قال
سمعت إسحاق يقول : أنشدتُ الرشيدَ شعراً فلما بلغتُ إلى قولي :
وكيف أخافُ الفقرَ ، أو أحرَمُ الغني
ورأى أمير المؤمنينَ جميلُ ؟

قال : لا ، كيف ! لله درُّ أبياتٍ تجيء بها ما أخكم
أصولها وأحسنَ فصولها ، وأقلَّ فضولها . قلت : هذا الكلام
- والله - أحسنُ من شعري

والأبياتُ هي هذه :
وآمرةٍ بالبخلِ قلتُ لها : أقصري ،
فذلك أمرٌ ما إليه سبيلُ
أرى الناسَ خلَّانَ الجواد ، ولا أرى
بخيلاً له في العالمين خليلُ

وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرَى بِأَهْلِهِ ؛
فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ : بِخَيْلٍ
وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَقْرِ - لَوْ عَامَّتِهِ -

إِذَا نَالَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ يَنْبِيلُ
عَطَائِي عَطَاءَ الْمَكْثَرِينَ تَكَرُّمًا

وَمَالِي - كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ - قَلِيلُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ ، أَوْ أُحْرِمُ الْغَنَى ،
وَرَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلٌ ؟

وَمِنْ عَجِيبٍ مَا يَرَوَى فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ دَخَلَ عَلَى
يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ يُعَذِّبُ فِي سَجْنِ الْحِجَابِ فَأَنْشَدَهُ :
أَبَا خَالِدٍ ! ضَاعَتْ خِرَاسَانُ بَعْدَكُمْ ؛

وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ : أَيْنَ يَزِيدُ ؟
فَلَا قَطَرَتْ بِالْمَرِّ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ ،

وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرِّ بَعْدَكَ عُودٌ ^(١)

(١) رواية ابن خلكان : « فلا مطر المروان بعدك مطرة » . قال
والمروان « تثنية مرو إحداهما مرو الشاهجان وهي العظمى والآخرى مرو
الروذ وهي الصغرى وكلتاها مدينتان مشهورتان بخراسان » ج ١ ص ٣٥١

فما لعزير - بعد عزك - بهجة

وما لجواد - بعد جودك - جود

وكان يزيد قد أعدّ مالا يُصانع به الحجاج ليقتصر من تعذيبه ، فقال لغلمانه : ادفعوا إليه المال ودعوا لحي للحجاج يقطعه كيف يريد

وأعجب من هذا أن عمر بن عبيد الله بن معمر مرّ بزنجي يأكل عند حائط وبين يديه كلب ، إذا أكل لقمة طرح له لقمة . فقال له : أهذا الكلب كلبك ؟ قال : لا ، قال : فلم تطعمه مثل ما تأكل ؟ قال : إني أستحي من ذي عينين ينظر إليّ ، أن استبدّ بما كولٍ دونه . قال : أحرّ أنت أم عبد ؟ قال : عبد لبعض بني عاصم ، فأتى عمر ناديهم فاشتراه واشترى الحائط ، ثم جاءه فقال : أشعرت^(١) أن الله قد أعتقك ؟ قال : الحمد لله وحده ، ولمن أعتقني

وكان يزيد قد ولي خراسان بعد أبيه المهلب بن أبي صفرة الأزدي ست سنين . ومن كلام يزيد قوله « ما يسرني أن أكفي أمور دنيای كلها ولي الدنيا بخدا فيرها . فقيل له : ولم ؟ أيها الأمير . فقال : أكره عادة المعجز »
(١) شعرت : علمت

بعده . قال : وهذا الحائط لك ، قال : أشهدك أنه وقف على فقراء
المدينة ، قال : ويحك ! تفعل هذا مع حاجتك ؟ قال : إني أستحي
من الله أن يجود لي بشيء فأبخل به عليه

والعرب تقول : « أَتَاكَ رَيَّانٌ بَلْبَنِهِ » معناه يعطى لغير
كرم ، ولكن لكثرة ما عنده

ونحوه - وإن لم يكن منه - قول إبراهيم بن العباس (شعر) :
لَا تَمْدَحَنَّ ابْنَ سَهْلٍ إِنْ وَجَدْتَ لَهُ

فِعْلاً جَمِيلاً ، وَلَا تَعْذِلْ إِذَا رَزَمَا^(١)
فليس يمنع إبقاء على نسب ،

وليس يعطى الذى يُعْطِيهِ مُعْتَزِماً
لكنها خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ ...

يُعْطَى وَيَمْنَعُ : لَا بُحْلًا ، وَلَا كَرَمًا

وقال أشجع السلمي يمدح يحيى بن جعفر البرمكى بإعطائه

الكثير على الإقلال :

يَرُومُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ

(١) هكذا بالأصل ولعلها « إذا أزمأ » أى أمسك وبخل

وكيف ينالون غايته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفة أوسع
وليس للمعطي أن يمنع القليل استحياء من قلته ، لأن المنع
أقل منه . ولا للمعطي أن يتسخطه ، فرب قليل سدّ خلة
كبيرة ، وجبر فاقة عظيمة ، وربما يبلغ به الى كثير . ولولا ذلك
لم يكن الوصول اليه سبيل

وكتب ابن المعتز « لا تستقل شيئاً من زيادة الله إياك ،
فتنفر نفيسها عنك . وقليل تترقى منه الى كثير ، خير من كثير
تنحط به الى قليل »

وقال ابن الرومي - أنشدناه أبو أحمد ، عن ابن المسيب ، عنه :
رأيت المظلّ ميّداً طويلاً يروض طباعه فيه البخيل
فما هذا المطال ؟ - فدتك نفسي -

وباعك بالندي باع طویل
أظنك حين تقدّر^(١) الى نوالا ، يقلّ لديك الى منه الجزيل

وَيُعَوِّزُكَ الَّذِي تَرْضَى لِمَثَلِي ، وَان لَمْ يُعَوِّزِ الرَّأْيُ الْجَمِيلُ
 وَفِيمَا بَيْنَ مَظَلِّكَ وَاخْتِلَالِي يَمُوتُ بِدَائِهِ الرَّجُلُ الْهَزِيلُ
 فَلَا تَقْدَرُ بِقَدْرِكَ لِي نَوَالًا وَلَا قَدْرِي فَتَحَقِّرَ مَا تُنِيلُ
 وَأَطْلِقْ مَا تَهْمُ بِهِ عَسَاهُ كَفَافِي (١) أَيُّهَا الرَّجُلُ النَّبِيلُ
 وَإِلَّا فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي نَبَتْ دَارُهُ فَاسْرِعْ بِي رَحِيلُ
 إِذَا ضَاقَتْ عَلَى أَمَلٍ بِلَادُهُ فَمَا سُدَّتْ عَلَى عَزَمٍ سَبِيلُ
 وَتَقُولُ الْعَرَبُ : « اِنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبَ (٢) »

يَجْعَلُونَهُ مَثَلًا لِحَسَنِ مَوْقِعِ الْمَعْرُوفِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا . وَأَصْلُهُ أَنَّ
 رَجُلًا غَضِبَ عَلَى قَوْمٍ فَأَتَاهُمْ لِيُوقِعَ بِهِمْ ، فَسَقَوْهُ رَثِيئَةً فَسَكَنَ
 غَضَبُهُ فَكَفَّ عَنْهُمْ

وَالرَّثِيئَةُ ابْنُ حَامِضٍ يَصُبُّ عَلَيْهِ حَلِيبٌ
 وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، عَنْ الْجَوْهَرِيِّ ، عَنْ زَكْرِيَا ، عَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ « كَفَافِي » . وَالْكَفَافُ هُوَ الَّذِي لَا يَفْضُلُ عَنْ شَيْءٍ

وَيَكُونُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ

(٢) « وَكُلُّ مَا كَسَرَتْ حَدَّتَهُ وَأَذْهَبَتْ حَرَارَتَهُ فَقَدْ فَنَاتَهُ . وَكَانَتْ

فِي الْأَصْلِ « مِمَّا تَفْتَأُ » وَالْمَثَلُ مَشْهُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ « مِمَّا »

الاصمعيّ قال: ذكر أعرابي رجلاً فقال: ما رأيت رجلاً أعشقَ
للمعروف منه، ولا رأيت الرزق أبغضَ أحداً بغضه (١)

ومما يجري مع هذا ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودي، عن
أحمد بن الفضل، عن عبد الوهاب، عن إبراهيم بن عبد الأعلى،
عن الحسين بن فهم، عن عمه قال: اشتهي صديقاً لي فزوجاً
أطبّخه له؛ فأكلت الجارية اللحم كله إلا لحم الصدر، ونحن
لا نعلم، فكتبت إليه:

طبخنا لك	فزوجاً
فطاف الأهل	بالقدر
ولم نقدر	على المنع
لقبح المنع	في الذكر
فآثرناك	بالصدر
لأن الصدر	للصدر

وهذا مثل ما تقدم من قولنا: «إن إعطاء القليل خير من

المنع، لأن المنع أقل منه»

ومثل ذلك، أن رجلاً اتخذ دعوةً فجاءته الهدايا من كل

(١) يبغضه الرزق لأنه يفنيه بالعطاء ويهلكه بالبذل

وجه . وكان من أصدقائه رجل مملق^(١) فوجه إليه بجراك أشنان^(٢)
 وجراك ملح وكتب إليه : « لو تمت الإرادة بحسب النية ،
 ومَلَكتني القدرة ببسط الجدة^(٣) ، لبدرت^(٤) السابقين إلى
 برِّك ، ولكنك إمام المتقدمين في إكرامك . لكن البضاعة
 قعدت عن الهمة ، وقصرت عن مساواة أهل الثروة . وكرهت
 أن تطوي صحيفة ولا يكون لي فيها ذكر ؛ فوجهت بالمبتدأ
 به لطيبه ويمنه ، وبالمختوم به لطهارته ونظافته ، مصطبراً على
 ألم التقصير . فأما ما ينوئ فالمعبر عني به كتاب الله عز وجل :
 ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
 مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

(١) من قولهم : أَمْلَقَ الرجل : افتقر ، وأصل الإملاق كثرة
 الانفاق ، ولما كان الجود الذي لا يمنع سبباً في الفقر سموا ما يكون عنه
 من الفقر باسمه

(٢) الاشنان : حمض طيب الريح تغسل به الأيدي بعد الطعام

(٣) يعني : لو كنت في سعة من المال

(٤) بادر القوم فبدرهم : سابقهم فسبقهم

وشبيه بهذا الخبر ما ذكره جعفر بن قدامة ، عن مَنَّة ^(١)
 البرِّ مَكِيَّة قالت : كانت لأم علي بنت الرايس جارية مغنية يقال
 لها مَكْر ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكان لها رفقاء
 من الكتاب ووجوه التجار ، وكان أبو يحيى الكنعني ^(٢) يعاشرها
 فافتصدت يوماً فأهدى لها رفقاؤها صنوف الهدايا ، وبعث إليها
 أبو يحيى بثلاث سلال مختومة ، فإذا سلة فيها ماش ومعه رقعة
 فيها : « الماش خيرٌ من لاش ^(٣) » ، وفي الأخرى عصافير
 بأجنحتها ، فلما فتحت طارت ، ومعها رقعة فيها : « ياسيدتي
 أعتقتُ عنك هؤلاء المساكين ، ولو كان بدلها عبيداً لاعتقتهم »
 وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة ، وفيها رقعة مكتوب فيها :

(١) هي في الأصل الذي نطبع عنه « مية » بالياء وصوابها بالنون
 وقد ورد ذكرها في الأغاني طبعة دار الكتب ج ٤ ص ٣٣٢ ومختار
 الأغاني لابن منظور طبع السلفية ج ١ ص ٧٣ وهي جارية مغنية مقتدرة
 كانت للبرامكة (٢) لم نعرف صحة هذا الاسم

(٣) هذا مثل . والماش : قماش البيت . ومعنى المثل ما كان في البيت
 من قماش لا خطر له خيرٌ من بيت فارغ لاشيء فيه ، وخفت « لاشيء »
 الى « لاش » لازدواجها مع « ماش »

« يا مولاتي لو كان عندي شيء لبعتُ اليك بشيء ، ولكن ليس عندي شيء فلم أبعث اليك بشيء » فضحكوا وبعثوا اليه بنصيب وافر من كل ما أُهدي اليها فكتبت اليه أم علي : « أعطى الله عهداً إن لم تكن هديتك أُمْلَحَ من كل هدية وردت علينا »

وكان أعرابي يأتي ابنَ عائشة^(١) في كل سنة فيصِّله بعشرة دنانير ، فجاء ذات مرة فأخبر بأنه مُضَيَّقٌ عليه ومدين ، فمثل بين يديه وقال : قد أخبروني بعُذْرِكَ وبما عليك من الدين ، والله ما قصدتك إلا وأنا على غاية الاضاقة ، وأنت تُعْطِي وأنا لا أُعْطِي ، ثم قال :

وقد خُبرْتُ أَنَّ عليك ديناً

فَرَدِّ في رَقْمِ دَيْنِكَ واقضِ دَيْنِي

فضحك ابن عائشة وقال له خذ هذه السجة^(٢) - وهي من الخشب كانت في داره - فأخذها الأعرابي وباعها بثمانية دنانير فالصلة بالقليل ربما تقع موقعها بالجزيل ، ولَرَدُّ مصيبة حلَّت بالسائل والمسؤول

(١) لعله يعني محمد بن عائشة المغني (٢) لم نعرف وجهاً لهذه الكلمة

قال رجل : كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل
فسأله ، فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكي ، فقلت : يا أبا محمد ما الذي
أبكاك ؟ قال : أي مصيبة أعظم من أن يأمل فيك رجل خيراً
فلا يصيبه ... ! ونحوه قول الشاعر :

أليس كبيراً أن تلم مائة ، وليس علينا في الحقوق معول
وقال آخر :

رى المرء - أحياناً ، إذا قلَّ ماله -

من الخير أبواباً فلا يستطيعها
وما إن به بخل ، ولكن ماله
يقصر عنها ، والغني يضيعها

وما ساد أحد قط ، ولا سار ذكره بشيء كإثاره على نفسه .
وقد مدح الله تعالى الانصار فقال : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

وما ذكر حاتم وكعب بن مامة إلا بإيثارهما
على أنفسهما

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة قال : أجوادُ العرب ثلاثة ^(١) : — حاتمُ بنُ عبد الله الطائي ، وكعبُ بن مامة الأيادي ، وكلاهما أثر على نفسه وضرب بهما المثل ، وأجوادُ هَرَمُ بنُ سِنانِ المُرِّي الذي يقول فيه زهير :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ ، وَ

مَكْنُ الْجَوَادِ — عَلَى عِلَاتِهِ — هَرَمُ

هو الجوادُ الذي يعطيك نائِلَهُ

عَفْوَاً ، وَيُظْلِمُ أحياناً فَيَظْلِمُ

وكان مما أثر به حاتم على نفسه ... أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بأرض عَنَزَةَ ^(٢) ناداه أسيرُهُم : يَا أَبَا سَفَّانَةَ ^(٣) ! أَكُنِيَ الْإِسَارُ وَالْقَمْلُ قال : ويلك ، والله ما أنا ببلاد قومي ، وقد نوّهت باسمي ، ومالك متركٌ ، فساوم

(١) الأجواد : جمع جواد . وهو يعني بهم أجواد الجاهلية أما في الاسلام فهم كثير

(٢) قبيلة من العرب أبوها « عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار »

(٣) سفانة بنت حاتم يكنى بها

العَنْزَيْنِ فاشتراه وخلاه، وأقام في قِده (١) حتى أتى بفدائه .
فقال الفرزدق حين صافنَ عاصِمًا العَنْبَرِيَّ (٢) :

فَمَا تَصَافِنَا إِلَّا دَاوَةَ أَجْهَشَتْ

إِلَى غُضُونِ الْعَنْبَرِيِّ الْجَرَّاضِمِ (٣)

(١) أقام حاتم في الاسر مكانه

(٢) من عادة العرب اذا قلَّ عندهم الماء في سفر يقتسمون الماء على
حصاة تُلْقَى في اناء فيسقي الرجل قدر ما يغمرها فذلك التصافن

(٣) الاداوة إناء صغير يتخذ من جلدٍ يحمل فيه الماء . وأجش
الرجل تهيأ للبكاء . والغضون : مكاسر الجلد في الجبين . والجَرَّاضِمُ :
الأكل . كان الفرزدق في رقعة وكان دليلهم عاصم العنبري فضلَّ بهم
في بيءاء لاماء بها ، فلما ظموا وأرادوا اقتسام الماء جشع العنبريُّ
الأكل المضخم فأناله الفرزدق الماء لا إبقاءً عليه بل إبقاءً على القوم
الذين في رفقته . وبعد هذا البيت :

فجاء بجلود له مثل رأسه ليسقى عليه الماء بين الصرائم
وبين هذا وبين البيت الذي ذكره العسكري ثمانية أبيات . ولذلك
تجد المعنى غير واضح . وقبل البيت الثاني :

فَأَثَرُهُ - لَمَّا رَأَيْتَ الَّذِي بِهِ - على القوم أخشى لاحقات الملالوم

حفاظاً ، ولو أن الاداوة تشتري غلت فوق أثمان عظام المغارم

على ساعة لو أن في القوم حاتما الخ

عَلَى سَاعَةٍ ... لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا

- عَلَى جُودِهِ - ضَمِنَتْ بِهِ نَفْسُ حَاتِمٍ

وصحب كعبٌ رجلاً من النَّمْرِ بن قاسطٍ في شهر ناجِرٍ (١)
فَتَصَافَنَا مَاءَهُمَا ، فَجَعَلَ النَّمْرِيُّ يَشْرِبُ نَصِيبَهُ ، فَإِذَا أَصَابَ كَعْبًا
نَصِيبَهُ قَالَ : اسْقِ أَخَاكَ النَّمْرِيَّ ، فَيُؤْثِرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَسْقِيهِ ،
حَتَّى أَضُرَّ بِهِ الْعَطَشُ ، وَأُسْرِعَ السَّيْرَ حَتَّى زُفِعَ لَهُ أَعْلَامُ الْمَاءِ
وَقَدْ غَلَبَهُ الْعَطَشُ فَقِيلَ لَهُ : رَدِّ ، كَعْبُ ! فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْوَرُودِ
فَمَاتَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ إِيَادٍ يَبْكِيهِ (٢) :

مَا كَانَ مِنْ سَوْقَةٍ اسْقَى عَلَى ظَمًا

خَمْرًا بِمَاءٍ إِذَا نَاجُودُهَا بَرَدًا (٣)

وَالْقَصِيدَةُ عِنْدَ أَبِيهَا (٥٣) فِي هِجَاءِ هَذَا الدَّلِيلِ الْعَنْبَرِيِّ الْمُضِلِّ ،
وَهِيَ فِي دِيْوَانِهِ بِرَقْمٍ ٤٠٥

(١) نَاجِرٌ أَشَدُّ فَصْلِ الصَّيْفِ حَرًّا

(٢) نَقَلَ ابْنُ بَرٍّ عَنِ السَّيْرَانِيِّ أَنَّ الْبَيْتَيْنِ لِمَاةِ الْإِيَادِيِّ أَبِي كَعْبٍ

(٣) السَّوْقَةُ : مَنْ دُونَ الْمَلِكِ مِنَ الرِّعَايَةِ . وَالنَّاجُودُ : إِذَا نَاجُودُهَا

أَوْ رَاوَوْقَهَا . وَقَوْلُهُ : « إِذَا نَاجُودُهَا بَرَدًا » يَعْنِي إِذَا عَزَّتِ الْحُمْرُ
وَوُغِلَتْ أَيَّامُ الشِّتَاءِ

مِنْ ابْنِ مَآمَةِ كَعْبٍ ثُمَّ عَنَى بِهِ
 زَوْهُ الْمَنِيَةِ إِلَّا حِرَّةً وَقَدَى (١)
 ومما جاء في مدح القليل ما أنشدناه أبو أحمد ، عن أبي بكر :
 وَإِنَّ قَلِيلًا يَسْتُرُ الْوَجْهَ أَنْ يُرَى
 إِلَى النَّاسِ مَبْذُولًا ، لَغَيْرُ قَلِيلٍ

وقال زهير :

عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَغْتَرِيهِمْ ،
 وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ

فَلَمْ يُخْلِ فَقِيرًا مِنْهُمْ وَلَا غَنِيًّا مِنْ بَذْلٍ
 وقريب من هذا المعنى ما أنشدناه أبو القاسم ، عن العقدي
 عن أبي جعفر ، عن ابن الأعرابي :

وَلَا عِزُّنَا يَغْدُو عَلَى ظِلْمٍ غَيْرِنَا ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا لِلظُّلَامَةِ مَذْهَبٌ
 فَرِيحُ تِلَادِ الْحِلْمِ وَسَطُ بِيوتِنَا إِذَا حِلْمُ أَقْوَامٍ مِنَ النَّاسِ يَغْرُبُ

(١) عَنَى بِهِ : رأينا أن أصلها عَيَّاه بمعنى أعياه وعدَّاه بالباء لأنها
 بمعنى بَرَّحَ بِهِ . والزو : القدر أو أحداث الموت . والحِرَّةُ : حرارة
 العطش والتهابه . ووَقَدَى بفتحات : تتوقَّد . وعندنا أن موقع الإهنا
 زيادة تفيد المبالغة في شدة العطش ولم يرد بها الاستثناء

ولا أطمح ابن العمَّ إن كان إخوتي

شهوداً ، وإخوان ابن عمي غيب ...

على سفرٍ ، أو صادفتهم منية

فأوحد منهم ظهره حين يغضب (١)

على كل حال قد قلت عشيرتي :

على الفقر مني ، والغنى حين أترب (٢)

غنيت فلم أبخل على مقتر بهم

بشيء ، ولم أكذهم حين أنكب

يعيشُ الفتى بالفقر يوماً ، وبالغنى ،

وكل - كأن لم يلقه - حين يذهب

وهذا مأخوذ من قول أبي كبير :

فإذا وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كان لم يفعل

وأخذه آخر (٣) فقال :

(١) أوحد منهم ظهره ، أي بقي منفرداً لا ظهر له . يقال في الدعاء

« أوحد الله جانبه » أي أبقاه وحيداً لأعدائه

(٢) أترب الرجل أكثر ماله ، وترب قل ماله

(٣) هو جابر بن ثعلب الطائي ، وأبياته هذه في حماسة أبي تمام

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى ،
وَلَمْ يَكُ فِي بُؤْسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً
يُنَاغِي غَزَا لَا فَاتَرَ الطَّرْفِ أَكْحَلًا (١)

وَإِذَا رَضِيَ مِنْكَ بِالْقَلِيلِ فَلَمْ يَوْجِدْ عِنْدَكَ ، كَانَ الذَّمُّ بِكَ
أَلِيقًا ، وَاللُّؤْمُ بِكَ أَعْلَقٌ ، وَطَرِيقُ عُنْزِكَ أَضْنِيقٌ
وَقَالَ آخِرُ :

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْجِلْمُ لِلْمَرْءِ رَاضِيًا إِذَا كَانَ عِنْدَ السُّخْطِ لَا يَتَحَلَّمُ
كَمَا لَا يَتِمُّ الْجُودُ لِلْمَرْءِ مُوسِرًا إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَا يَتَكَرَّمُ
وَسَأَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ رَجُلًا قَفِيرَيْنِ مِنْ حَنْطَةِ فَمْنَعِهِ ، فَقَالَ :
سَأَلْتُ قَفِيرَيْنِ مِنْ حَنْطَةٍ مُجَدَّتْ بِكَرٍّ مِنَ الْمَنَعِ وَافٍ (٢)

(١) فتر الطرف سكن في لين . و المناغة في الاصل محادثة الصبي
بما يهواه ويسره

(٢) القفيز : مكيال تواضع الناس عليه قديماً . والكُرُّ : ستون قفيزاً ،
قال ابن سيده : يكون بالمكيال المصري أربعين إردباً

كَأَنِّي سَأَلْتُكَ حَبَّ الْقُلُوبِ

ب : ذَاكَ الَّذِي مِنْ وَرَاءِ الشَّغَافِ (١)

وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

مَنْعَتْ قَلِيلًا نَفْعَهُ ، وَحَرَمْتَنِي كَيْسِيرًا فَهَبْهَا بَيْعَةً لَا تُقَالُهَا

وَأَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ لِبَعْضِهِمْ ، يَمْدَحُ رَجُلًا بِقَلَّةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ النَّيْلِ :

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ أَرْضٍ إِذَا النَّيِّرَانِ جُلَّتِ الْقِنَاعَا (٢)

وَمَا إِنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ سَوَامًا ، وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

وَقَالَ أَشْجَعُ :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وَقَالَ آخِرُ (٣) :

وَمَا الْجُودُ عَنْ فَقْرِ الرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى ،

وَلَكِنَّهُ خِيَمُ الرِّجَالِ وَخَيْرُهَا (٤)

(١) الشَّغَافُ : غِشَاءُ الْقَلْبِ

(٢) جُلَّتِ الْقِنَاعَا : سَتِرَ ضَوْءُهَا خَوْفُ أَنْ يَرَاهَا طَارِقٌ فَيَحْضُرُهَا

(٣) هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرِ الْأَسَدِيِّ

(٤) الْآيَاتُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ غَيْرُ مُتَشَاكِلَةِ الْأَصُولِ ، وَصَوَابُ

فَنَفْسَكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورَ كَثِيرَةٍ ،
 فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا
 وَقَدْ تَخَذَعُ الدُّنْيَا ، فَيَمْنِي غَنِيَّهَا
 فَقِيرًا ، وَيَغْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا
 وَكَمْ طَامِعٌ فِي حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا ، وَكَمْ آيِسٌ مِنْهَا أَتَاهُ بَشِيرُهَا
 أَعْلَمُ أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ أَنْ الْيَسِيرَ تَعْطِيهِ عَفْوًا ، وَتَبْذُلُهُ صَفْوًا
 مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ يُغِيضُ مَاءَهُ ، وَيَكْدُرُ هَوَاءَهُ ، يَقُومُ مَقَامَ الْكَثِيرِ
 وَيَنْوِبُ مَنَابِ الْجَزِيلِ ؛ لِأَنَّ الْمَنَعَ خَيْرٌ مِنَ الْمَطْلِ ، وَيَسِيرُ النَّيْلِ
 خَيْرٌ مِنَ الْمَنَعَ - عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ قَبْلَ - وَقَدْ قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :
 مِنَ الْخَيْفِ تَطْفِيفُ النَّوَالِ وَمَطْلُهُ ،
 فَعَجَلٌ خَسِيسٌ ، أَوْ فَاجِلٌ مُوَفَّرٌ

انشادها أن تضع البيت الثالث بعد البيت الاول ثم تتبعه بقوله :
 وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ حَالِ دُنْيَا تَغَيَّرَتْ وَحَالٍ صَفَا بَعْدَ أَكْثَرَارٍ غَدِيرِهَا
 وَمِنْ طَامِعٍ فِي حَاجَةٍ ... الْخ
 وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يَعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ مَطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا
 فَنَفْسَكَ أَكْرَمَ ... الْخ
 وَالْخَيْرُ : الشَّيْءُ وَالْخَلْقُ . وَالْخَيْرُ : الْأَصْلُ

فكن نخلةً تَلَوِي وتُسْنِي عطاءها ؛

وإلا فكن عَفْصاً أَقْلَ وَأَيْسَرًا (١)

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي ، عن القاسم بن اسماعيل عن
العطوي ، عن يحيى بن أكرم قال : دخلت على المأمون وبين
يديه طعام في طبق فدعاني إليه - وكان لهما بارداً قليلاً - فخاف
أن أستقله فقال من الشعر (له) :

اعْرِضْ طَعَامَكَ وَابْذُلْهُ لِمَنْ دَخَلَ ،

وَاحْلِفْ عَلَى مَنْ أَتَى . وَاشْكُرْ لِمَنْ أَكَلَ

وَلَا تَكُنْ سَابِرِيَّ الْعَرَضِ مُحْتَشِمًا

من القليل ، فلست الدهر مُحْتَفِلًا (٢)

وفي الحديث « خير الصدقة جُهْدُ الْمُقِلِّ إِلَى فَقِيرٍ فِي السَّرِّ »

(١) يقول : كن كالنخلة تماطلُ في حملها ثم تُكثِرُ من فاكهتها ،

فإن لم تكن فكن كالعفص يعطيك على يسرٍ غير مماطل شيئاً قليلاً

(٢) في المثل « عرض سابري » يقوله من يعرضُ عليه الشيء عرضاً

ولا يبالغُ فيه لأن السَّابِرِيَّ - وهو من الثياب أرقها - من أجود الثياب

يرغب فيه بأدنى عرض . قوله « فلست الدهر مُحْتَفِلًا » يقول فانك

لست طول أيامك غنياً حافلاً بالمال

وقد علمت - أدام الله عزك - أن الوصف بكرم النفس ،
وسعة الصدر ، وسماحة الكف ، من أنفس ما يُراد ، وأجل
ما يُرتاد . ومن رزقه بإنالة قليل لا يُجحف به ، فقد أوتي الحظ
الجسيم ، وسيق إليه المتجر الرّيح . والشكر القليل ثمن النوال
الجزيل ، فإذا رزقت كثير الشكر على قليل النيل ، فاعلم
بأنك مسعود

وأنشد أبو تمام في قريب من هذا المعنى :

ومُسْتَنْبِح قال الصّدّي مثل قوله ،

حَضَاتُ لَهُ نَاراً لَهَا حَطَبٌ جَزَلٌ ^(١)

(حَضَاتُ النار فَحَضَاتُ أَى أَلْهَبَتْهَا فَالْتَهَبَتْ ، وقال ابن

دريد حَضَوْتُ بغير همز بمعنى حَضَاتُ ، وقال غيره ويقال حَضَى

الرجل يَحْضَى ^(٢) إذا حرص وشره)

(١) المستنبح مضى معناه في ص ١٩ يعني به الضعيف حين يجيبه

صداه على عوائه كهواء الكلب

(٢) لم أجد من ذكر هذا الحرف من أصحاب الأُمّهات إلا ابن

سيده في الخصص في باب الحرص والشره ج ٣ ص ٦٨ قال : هو يلا ف

ويلبز ويخضم ويحضى ويوجز ويتلنز كلها في الشره ولها وجه وهو

التسهيل وليست من مادة غير « حضا » وهى استعارة ، كقولهم تسعرجوه

وَقَمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا فَغَنِمْتَهُ ، خَافَةَ قَوْمٌ أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ
فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا ، وَأَوْسَعْتَهُ قَرَى وَأَرْخِصَ بِمَحْمَدٍ كَانَ كَاسِبَهُ إِلَّا كُلُّ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ ، عَنْ أَبِي مُعَاذٍ خَلْفِ بْنِ
أَحْمَدَ الْمُؤَدَّبِ ، عَنْ الْمَازِنِيِّ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ بِالْبَصْرَةِ
رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي سَعْدٍ يُقَالُ لَهُ نُبَيْتٌ ، وَكَانَ صَاحِبَ صَلَاةٍ
بِاللَّيْلِ ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ يَنْزِلُونَ عَلَيْهِ : فَنَزَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ وَلَمْ يَعِشْهُمْ
وَقَامَ يُصَلِّي إِلَى الصَّبَاحِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ :

لَاخِبُ نُبَيْتٍ وَعَلَيْهِ لَحْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَوْتِ الْقُرْآنِ
تَبَيَّنْتُ تَذْهَبُ الْقُرْآنَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عَقْرَبَانُ (١)

فَذَكَرَ أَنَّ لِلطَّعَامِ مَكَانًا عَلَى قَلْبِهِ ، وَنَزَارَةَ قِيمَتَهُ . وَلَيْسَ
السَّخَاءُ بِالكَثِيرِ بِأَحْمَدَ مِنَ السَّخَاءِ بِالْقَلِيلِ إِذَا وَافَقَ الْحَاجَةَ .
وَقَدْ قِيلَ : « خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ » ، وَلَمْ يَشْرَطْ فِيهِ
السَّكْرَةُ وَالْقَلَّةُ ، وَقِيلَ :

وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلِي بِمَالَا أَنَالَهُ ، وَقِلَّةُ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ شِيرَانَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْفَرٍ

(١) الْعَقْرَبَانُ : ذَكَرَ الْعَقْرَبُ . وَفِي الشَّعْرِ إِقْوَاءٌ . وَهُوَ كَلَامٌ أَعْرَابِيٌّ

جَافٍ جَائِعٍ

عن الغلابي ، عن عيسى بن يزيد ، عن موسى بن عقبة ، عن
مِقْسَم مولى ابن عباس . (ح) وعن الغلابي عن مُطَرِّف ،
عن ابن دارة . (ح) وعن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك ،
عن هشام بن معاوية والهيثم بن عدي ؛ عن الحسن
قالوا : وقد عبى الله بن العباس على معاوية ؛ فلما كان ببعض
الطريق أصابته السماء فأمَّ أبياتاً من الشعر ؛ وإذا أعرابي قد
قام إليه فلما رأى هيئته وبهائه - وكان من أحسن الناس شارة
وأحسنهم هيئة - قال الأعرابي لامرأته : إن كان هذا من قریش
فهو من بني هاشم ؛ وإن كان من اليمن فهو من بني آكل المرار ^(١) .
فأنزله ، وذلك في الليل ، فقام الأعرابي الى عُنْزِرَةٍ له يذبحها
فجاذبته امرأته وقالت : أكل الدهرُ مالَكَ وشربَه ، ولم يبقَ لك
ولبناتِكَ إلا هذه العُنْزِرَةُ تَضَعُ دِرَّةً كَمْخَةً عُرْقُوب ^(٢) ، ثم

(١) آكل المرار هو حُجْرُ جَدِّ امرئ القيس ، وبنو آكل المرار

سادة اليمن وملوكها

(٢) الدِّرَّةُ في أصلها اللبنُ الكثير وتستعمل للقليل تهكماً . والْحَمَّةُ

ما يكون في العظم من النقي ، وعُرْقُوبُ الدابة من رجلها بمنزلة الركبة من
يدها . والعُرْقُوبُ أضْنُ العظام بالنقي (المنخ)

تريد أن تفجعهم بها؟ قال : والله لا ذبحناها . فقالت : والله ،
إذا لا يتركك بناتك ، قال : والله ؛ لَمَوْتُ خَيْرٍ مِنَ اللُّؤْم ...
[ثم] قال ؛ وعبيد الله يسمع :

قرنتي ^(١) ، لا توقظي بُنيَّةً ؛ إن توقظيها تنتحب عليَّ ^(٢)
وتنزع الشفرة من يديَّ أبغض بهذا وبها إليَّ
ثم ذبح الشاة وأضرَم النار ، وجعل يقطع من أطايبها
ويلقيه على النار ، ثم قرَّبه إلى عبيد الله بن العباس ومن معه ،
فجعل عبيد الله يأكل ويحدثه في خلال ذلك بما يليه ويضحكه ،
حتى إذا أصبح وانجلى السحاب وهم بالرحيل قال لمقسَّم : كم
معك من نفقتك ؟ قال : خمسمائة دينار ، قال : ألقها إلى الشيخ ،
قال : ما تريد إلا أن تسأل الناس في طريقك ؛ إن هذا رضى
عشر مسميت . وتأتى معاوية ولا تدري علام توافقه ^(٣) ؟ قال :
ويحك ، إنا نزلنا على هذا وما يملك إلا هذه الشاة ، فخرج لنا
من دُنياه كلها ، ونحن نُعطيهِ بعض ما نملكه فهو أجود منا ،
قال : فألقاها إليه وارحل ، فأتى معاوية فقصى حوائجه ،

(١) في الاصل « قرينة »

(٢) تنتحب عليه : تشتد في مقاومته ومنافرتة (٣) أى تجده

فلما انصرف قال لِمَقْسَمٍ : أنظر ما حالُ صاحبنا . فَعَدَلَ اليه فاذا
 بِإِبِلٍ وَشَاءٍ وَحَالٍ حَسَنَةٍ ؛ فلما بَصُرَ الأعرابي بعبيد الله أَكْبَّ
 على أطرافه يُقْبِلُهَا ثُمَّ قال : بأبي أنت وأُمي ، قد مدحتك ولا
 أدري والله من أيِّ خَلْقِ الله أنت . وأنشده :

تَوَسَّيْتُهُ لِمَا رَأَيْتُ مَهَابَةً

عليه ، وقلتُ المرءُ من آلِ هَاشِمٍ

وإِلَّا ؛ فمن آلِ المُرَّارِ فَإِنَّهُمْ

ملوكٌ ، وأبناءُ الملوكِ الأَكْرَامِ

(قال الشيخ أبو هلال : ثم ذكر أرباباً رديئة اللفظ والوصف
 أظنها من عمل ابن دأب ، فانه كان عَمُولاً لأمثالها فيما يرويه من
 الأحاديث) فقال عبيد الله : أصبت ؛ أنا من وَلَدِ هَاشِمٍ ؛ وقد
 وَلَدَنِي آكلُ المُرَّارِ ^(١) . فبلغ معاوية ذلك فقال : لَهِ دَرُّ عبيد الله
 من أيِّ بَيْضَةِ خَرَجٍ ، وفي أيِّ عَشٍّ دَرَجٍ ؟ هذه والله من فعَالِ
 عبيد الله مُعَلِّمِ الجود ؛ وهو والله كما قال الخطيئة :

أولئك قومٌ ، ان بَنَوْا أَحْسَنُوا البِنَا

وإن عَاهَدُوا أَوْفَوْا ، وإن عَقَدُوا شَدُّوا

(١) لأن أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية

وإن كانتِ النعمة فيهم جزوا بها ،
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وقال بعض الحكماء : « ذلَّ أخلاقك للمحاسن ، وقُدَّها
للمحامد ، وعلمَّها المكارم ، وعودَّها الجميلَ والايثارَ على النفس
فيما تحمَدُ غيبه ^(١) » ولا تُدِّقْ الناسَ وزناً بوزن ^(٢) وتكرِّم بالغنى
عن الاستقصاء ، وعظِّم قدرَك بالتغافل عن دنىء الأمور ، وأمسك
رَمَقَ الضعيف بالمعونة ، ووصلْ من رَغِبَ إليك بجَاهِك - إن
عجزت عما رَجَاهُ عِنْدَكَ ، ولا تكنَ بَحَّاثاً عمن غابَ عنك فيكثر
عناؤُك ، وتحفَّظْ من الكذب فإنه أسْقَطُ الأخلاق للاقدار ،
وهو نوع من الفُحْش ، وضربٌ من الدَّناءة ، وأصله من استعداد
المتنى ^(٣) ، وهو أضغاثُ فكرٍ الحقِّ ، فإذا استحكَمَ في الضمير
بتسويلِ النفس الضعيفة جاشت ، فغَلَى على اللسان ، كما يفورُ الماءُ

(١) الغب : العاقبة

(٢) المداقة : التشدد في النقص والزيادة كفعل التجار

(٣) هكذا الأصل ولعلَّ المراد أنَّ أصل الكذب هو تمنى الرجل
أمراً يحمله على الكذب وتسوُّلُ له النفسُ هذه الامانى حتى تستحكم
فيها . والاشبه أن تكون « من استعداد المتنى »

في الاناء إذا احتدمت تحته النار . واعلم أنه أغلب شيء على صاحبه ، وأشدّه تمكُّناً منه ، وأحرى أن لا يُنزع منه بحيلة ، وذلك لضروراته وطول صحبة العادة له

وقيل لبعض الحكماء : ما الشح ؟ قال : أن ترى إعطاء القليل سرفاً ، والانفاق في الحق تلفاً

ومما يرغب في الاحسان قول بعض الحكماء لأصحابه :
اعلموا أن كل يوم يمرُّ بكم يحمل ما يُثبَّتُ فيه من حسن وقبيح ، ثم يمضي فلا يعود ؛ فإن قدرتم أن تخطوا في كل يوم مكرمة ، وتثبتوا فيه حسنة تبتهجوا بذكره ولو بعد حين ، فلا تؤخروا ذلك فتغبنوا حظكم من يومكم ، فإن الأيام صحائف ، فخلدوا فيها الجميل ؛ وقد رأيتم حفظها لما استودعت من المحامد وأفعال الكرام في قديم الدهر وأوّل الزمان ، ثم لم يدرُسْ^(١) ذلك مع ذهاب القرون ، ولا ينسى على حال ؛ وما حوت من العار لا يمحوه الآخر عن الأوّل

وقال بعض الحكماء : بإزالة الفكر يُستدركُ الرأى المصيب ، وبحسن التأمّن تسهل المطالب ، وبلين كنف المعاشرة

(١) لم يذهب ولم يبل

تَدُومُ الْمَوَدَّةُ ، وَتُخَفِّضُ الْجَانِبُ نَأْسُ النُّفُوسِ ؛ وَبَسْعَةُ خُلُقِ
 الْمَرْءِ يَطْيِبُ عَيْشُهُ ، وَبِكَثْرَةِ الصَّمَتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ، وَبِعَدْلِ
 الْمُنْطِقِ تَجِبُ الْجَلَالَةُ ؛ وَبِالنَّصِفَةِ يَكْثُرُ الْوَاصِلُونَ ، وَبِالْإِفْضَالِ
 تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ ، وَبِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ تَزْكُو
 الْأَعْمَالُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّؤْدُودُ ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يُقَهَّرُ
 الْمَنَاوِيءُ ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ ، وَبِالرِّفْقِ
 وَالتَّوَدُّدِ تَسْتَفِيدُ مَحَبَّةَ الْقُلُوبِ وَبِحَسَنِ اللَّقَاءِ يَأْلَفُكَ الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ ،
 وَبِإِيثَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْكَرَمِ ، وَبِالْصَّدْقِ وَالْوَفَاءِ
 تَكُونُ لِلنَّاسِ رَضَى ، وَبِنَفْيِ الْعُجْبِ تَأْمَنُ مَقَتَ أُولَى الْأَلْبَابِ ،
 وَبِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ مِنَ الْأُمُورِ يَتِمُّ لَكَ الْفَضْلُ ، وَمَنْ رَضِيَ
 لِلنَّاسِ بِالمَسَاحَةِ دَامَ اسْتِمْتَاعُهُ بِهِمْ

وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ — وَانْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ — قَوْلُ بَعْضِ
 الْحُكَمَاءِ : مَا أَخْلَقَ الْأَعْرَاضَ ، وَلَا أَذَلَّ الْأَقْدَارَ مِثْلُ نَيْلِ مُمْتَنٍّ
 بِهِ ، وَاسْتِطَالَةِ مُنْعَمٍ بِفَضْلِهِ . وَلَفَقْدُ السَّعَةِ — مَعَ تَرْهَدِ النَّفْسِ —
 أَغْنَى مِنْ امْتِهَانِ عِرْضِكَ لِمَنْ يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ نَيْلِهِ لَكَ ، وَيَسْتَقِلُّ
 مَا بَدَّلْتَ لَهُ مِنْ شُكْرِكَ

وَنَحْوُهُ : كَفَى الْمَعْرُوفُ وَانْ جَلَّ ، وَاشْكُرْهُ وَانْ قَلَّ ،

وإذا أصابتك شدة فاذكر أن ما بعدها أشد منها وأفزع ، فإن
 ذلك يهون عليك شدة بلائها ، ويتحمل عنك ثقل أعبائها
 قال الشيخ أبو هلال : وقد علمنا أن المرء وإن ملك الدنيا
 بخذافيرها لم ينتفع منها إلا بقدر الحاجة ، ولا وجه لتسخطه
 القليل وهو حظ ، وتطلعه إلى الكثير وهو فضل ...
 فمن جيد ما روى في فضل الإعطاء على العسر : أن رجلا
 دخل على المنصور فقربه ثم أمر بإعطائه عشرة آلاف درهم ،
 فحملت معه ، وخطا خطوات منصرفاً فردّه وأمر له بمثلها ،
 فقبضها ، وخطا خطوات مؤلياً فردّه وأمر له بمثل هذا أيضاً ،
 فلما انصرف قال : لقد أراي وأنا هارب من بني أمية ، وقد
 نادى مناديهم ببراءة الذمة ممن وجد منّا في بلادهم ، فأردت
 الخروج من الكوفة في الهاجرة ^(١) فدفعْتُ إلى هذا الرجل وهو
 يَحْذُو النعال فقال لي : لعلك من هذه الفرقة المهجورة ؟ قلت :
 نعم ، فدفع إلي شقّ درهم كان معه ، ولما وليتُ ردني وأعطاني
 أرغفة كان أعدها لعشائه ، ولما انصرفتُ ردني ودفع إليّ

زَوْجِي نَعَالٍ كَانَتْ لَهُ وَكُنْتُ حَافِيَا ، فَوَقَعَ مِنِّي مَوْقِعًا مَحْمُودًا
فَاصْرَفْتُ وَلَقِيْتَهُ الْيَوْمَ فَقَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ ، عَلَى عِلْمٍ مِنِّي أَنَّهُ كَانَ
فِي قَلِيلٍ مَا أَعْطَانِيهِ أَجُودُ مِنِّي فِي كَثِيرٍ مَا أَعْطَيْتُهُ

ومما يجري مع ذلك - وإن لم يكن منه - قول بعض الحكماء:
المُقِلُّ السَّخِيَّ غَنِيٌّ بِجَمِيلِ الذِّكْرِ ، والبَخِيلُ المُكْثِرُ فَقِيرٌ بِسُوءِ
الذِّكْرِ ، وخَمُولُ الذِّكْرِ أَحْمَدُ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِيمِ

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد ، عن أبي بكر ،
عن أبي حاتم قال : حضرتُ بعضَ وُلاةِ البَصْرَةِ - ولم يُسمَّه -
وكان جَبَّارًا فسمعت رجلاً يقول في مجلسه : الأتباع يُؤْنِسُهُمُ
البِشْرُ ، ويوحِشُهُمُ الأزورار ، ويَلُمُّهُمْ لين الجانب ، ويُفَرِّقُهُمُ
عنف المعاشرة . وازدحام الآمال لديك ، نعمة من الله عليك ،
فقابل النعمة بحسن المجاورة تَسْتَدِمُ وَاِرِدَهَا ، وَتَسْتَدْعِ نَافِرَهَا
قال : فما زلت أعرف موقع هذا الكلام من ذلك الوالى حتى
افترقنا

وإذا كان البِشْرُ - أَصْلَحَكَ اللهُ - يَصْلَحُ لِتَأْلُفِ الْقُلُوبِ ،
فَالنَّيْلُ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا أَصْلَحَ لَهَا ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْيِيَ أَحَدٌ

من بذله ، ولا يستصغر أحدٌ أخذه ، فإنَّ قليل النفع كثيرٌ إذا
 قيس بفقدِه . وإذا عرّفت المنفعة في تفاريق العصا^(١) مع قِلَّتِها
 ونزارة قيمتها ، علمت أن تزر المنافع جزلٌ في بعض المواضع .
 وقد علمت أن حاتمًا وكعبًا وهرمًا لم يجعلوا أمثالا في الجود
 لعظم عطياتهم في القدر ، لأن الواحد منهم إنما كان يقرى
 ضيفا ، أو يهبُ بغيراً ، أو عدداً من الشئ قليلا ، ولكن
 ذهب صيتهم في السماح ، وبعد ذكرهم في الجود ، لانهم كانوا
 يعطون وهم محتاجون ، ويُنيلون وهم مُحتسِلون^(٢) . وقد عرفت
 أن كعبا إنما رُزق هذا الاسم الكبير في الجود بما آثر صاحبه ،
 ورزقه حاتم بإنها به ماله^(٣) ، ولم يكن بالعكر الدثر^(٤) ولكن

(١) تفاريق العصا : ما تكسر منها وتفرق ، وذلك فيما حكى ابن
 الاعرابي أن العصا تُكسر فيمتخذ منها ساجور (وهي الخشبة توضع في
 عنق الكلب) ، فاذا كسر الساجور اتخذت منه الأوتاد ، فاذا كسر
 الوتد اتخذت منه التوادى تصرُّ بها اخلاف الناقة (٢) المُحتل : الفقير
 المعدم المحتاج . من الخلة بالفتح وهي الحاجة والفقير (٣) الانهاب أن تعرض
 الشئ وتبيحه لمن شاء أن يأخذ منه ، وهذا الشئ مُهب

(٤) العكر : مافوق خمسمائة من الابل ، ويعنى بها هنا الابل من

غير عدّه ، والدثر : الكثير

قَصْدًا أَوْ قَلِيلًا نَزَرًا ، وَأَنَّ هَرِمًا إِنَّمَا أُعْطِيَ زُهَيْرًا رَوَاحِلَ
وَيْبَابًا تَقِلُّ قِيمَتُهَا وَلَا يَعْظُمُ مَقْدَارُهَا ، وَكَانَ عَطَاءُ الرَّشِيدِ
وَالْبِرَامِكَةِ وَالْمَأْمُونِ وَالْأَمِينِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ
مَا أُعْطَاهُ أَوْلَثُكَ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِمْ ، وَلَمْ يُضْرَبْ بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْمَثَلُ كَمَا ضُرِبَ بِأَوْلَثِكَ . فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا اسْتَحْسَنُوا فِي
مَنْهُمْ بِذَلَّتِهِمْ مَعَ ضَيْقِ أَحْوَالِهِمْ ، وَقِلَّةِ ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَجَعَلُوا لَهُ
أَمْثَالًا مَضْرُوبَةً لِكُلِّ مَنْ اسْتَغْرَبُوا فَعْلَهُ ، وَاسْتَبَدَّ عُوا صَنِيعَهُ فَلَوْ
وَفِي أَخْبَارِ حَاتِمٍ : أَنَّ جَارِيَةً جَاءَتْهُ فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ فَقَالَتْ :
جِئْتُكَ - يَا أَبَا سَفَّانَةَ - مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ لَهَا ضُغَاءٌ ^(١) مِنَ الْجُوعِ ، مَا
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا شُبُعَ نَحْنُهُمْ ، فَتَعَجَّبَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ قَوْلِهِ لِعَالِمِهَا أَنَّهُ
لَا شَيْءَ عِنْدَهُ ، فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَذَبَحَهَا وَأَوْقَدَ ، فَجَعَلَ يَكْبِبُ لَهَا
اللَّحْمَ ^(٢) حَتَّى اكْتَفَتْ وَاكْتَفَى أَوْلَادُهَا ، ثُمَّ قَسَمَ بِقِيَّتِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ
لِعِيَالِهِ شَيْئًا

(١) الضغاء أصله : صياح الذئب والشعلب وغيرهما ثم كثر حتى
قليل للإنسان إذا شقَّ عليه فاستغاث أو بكى بصوت ذليل
(٢) يعمل ككبابا وهو اللحم يُثْقَلُ أو نوع من ذلك يسمونه الطبَّا حجة
(معرب عن الفارسية)

فبمثل هذا كان يبعد ذكر جوده ، ومبلغ ما يوجد به
قصد . واعطى غيره الكثير وأعطى من الذّكر القليل

ولقد حدث محمد بن صالح بن داود قال : ركبنا مع عمي
يعقوب بن داود - الى يحيى بن خالد بن برمك ، قال : فكلّمه
في حوائج للناس تبلغ ثلاثة آلاف درهم فقضاها كلها ، ثم قال :
له : قد رأيت قلة وفاء الناس لك على كثرة معروفتك عندهم ؛
فلو سألت لنفسك ! فأبى أن يسأل إلاّ لهم ، وسأله أن يسكنه
مكة ففعل ، وأجرى عليه في كل سنة خمسمائة ألف درهم سوى
ما حمله اليه من الطعام من مصر

وأخبرنا أبو أحمد ، عن الصولي ، عن [محمد بن ^(١)] القاسم
ابن خلاد قال : حدثني محمد بن عمرو قال : خرج كوثر - خادم
الامين محمد - ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه فجلس
يبكي ، فوجهه محمد من جاء به وجعل يمسح الدّمع عن وجهه ،
ثم قال :

(١) هذا التصحيح في السند من تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٣٩ وفيه

ضَرَبُوا قُرَّةَ عَيْنِي وَلَا جَلِيَّ ضَرْبُوهُ
أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي مِنْ أَنْاسٍ أَحْرَقُوهُ

وأراد الزيادة عليها فلم يُؤَاتِهِ طَبْعُهُ ، فقال للفضل بن
الربيع : مَنْ ههنا من الشعراء ؟ قال : الشاعر عبد الله بن أيوب
التميمي . فقال : علىَّ به . فلما دخل أنشده البيتين وقال : قل
عليهما . فقال :

مَا لِمَنْ أَهْوَى شَبِيهِه فَبِهِ الدُّنْيَا تَتِيهِه
وَصَلَّه حُلُوٌّ وَلَكِنْ هَجَرَهُ مَرَّةً كَرِيهِه
مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ الْفَضْلَ عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ
مِثْلَ مَا قَدْ حَسَدَ الْ قَائِمَ بِالْمُلْكِ أَخُوهُ (١)

فقال محمد : هذا والله خير مما أردت ، بحياتي عليك يا عباسي
إلا نظرت ، فإن كان جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم ،
وإن جاء في زورق ملأته له . فأوقر له ثلاثة أبغل دراهم
وغناه ليلة إبراهيم بن المهدي :

يَا أَمِينَ اللَّهِ ! عِشْ أَبَدًا ، دُمَّ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ

أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا ، فَإِذَا أَفْنَيْتَنَا فَكُنْ

فقام من مجلسه وأكبَّ عليه وقبَّلَ رأسه ، فقام إبراهيم
فقبَّلَ أسفلَ رجله وما وَطِئَتْهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَسَاطِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ
آلَافِ دِينَارٍ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا سَيِّدِي ! قَدْ أَجَزْتَنِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ
بِعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، قَالَ : وَهَلْ هِيَ إِلَّا خَرَاجُ بَعْضِ
الْكُؤُورِ^(١) ؟

وَقَالَ يَوْمًا لِبَعْضِ غُلَامَانِهِ : وَيْحَكَ ، أَمَا تَغْسِلُ ثِيَابَكَ ،
فَمُمْ وَخَذْتُ ثَلَاثِينَ بَدْرَةً^(٢) وَاغْسَلْتُ بِهَا ثِيَابَكَ ، فَذَهَبَ وَقَبَضَهَا
وَرَأَى رَجُلًا لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ رَوَّيَا أَيَّامَ الْمَهَادِي فَأَخْبَرَهُ ،
نَخَافُ يَحْيَى أَنْ يَكُونَ دُسٌّ عَلَيْهِ فَأَنْتَهَرَهُ وَتَوَعَّدَهُ ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ
الرَّشِيدُ دَخَلَ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ الْعُمَّالِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةَ
أَلْفِ دَرَاهِمٍ

وَسَأَلَ يَحْيَى مُؤَدِّبَ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : تَعَلَّمَ كَذَا ،
وَحَفِظَ كَذَا ، وَاتَّخَذَ لَهُ مِنَ الضِّيَاعِ كَذَا . قَالَ : لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ هَذَا
فَقَالَ : عَمَّ يَسْأَلُ الْوَزِيرُ ؟ قَالَ : أَتَّخَذْتُ لَهُ مِئْنَةً فِي أَعْنَاقِ الرِّجَالِ ؟

(١) جمع كورة : وهى المدينة أو الصقع

(٢) البدره : كيس يكون فيه قدر معين من المال

قال : لا ، قال : بثس الخليط أنت . فأمر بحمل خمسمائة ألف درهم إليه ليفرقها عنه في الناس . قال : فوالله لقد فرقنا في أقوام ما ندري من هم

وكان محمد بن خالد بن برمك ما يستأمر عليه سائمه^(١) إلا قبله ، ونهى وكلاءه عن المكاس^(٢) ؛ وكان الجدوى يشتري له بألف درهم ، وبقاة الريحان بخمسمائة درهم

وكان الفضل بن يحيى أمر بأن تحمل صرر الدنانير فتلقى في عتب أبواب جيرانه بالليل ، فإذا أصبحوا وجدوها ، فرمما بلغ ذلك في الليلة الواحدة مائة ألف ... وكان إذا جاء الشتاء تصدق بجميع ما في خزائنه من كسوة الصيف ، وإذا جاء الصيف تصدق بجميع ما فيها من كسوة الشتاء . وما روى مثل هذا الجود عن أحد في أول ولا آخر ، فقال فيه أبو قابوس الحيرى :

رأى الله للفضل بن يحيى فضيلة
ففضله ، والله بالناس أعلم

(١) يستام : يعرض البيع ويغالى فيه ، والسائم : البائع

(٢) ما كسه مما كسه ومكاساً : شاة لينقص من الثمن

له يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُؤْسٌ^(١)
 وَيَوْمٌ نَعِيمٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمُ
 وَقَالَ أَبُو النَضِيرِ [عمر بن عبد الملك^(٢)]:

وَيَفْرَحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرَمَكٍ
 بُغَاةُ النَّدَى وَالرَّمْحِ وَالسَّيْفِ ذُو النَّصْلِ
 وَتَنْبَسِطُ الْأَمَالُ فِيهِ لِفَضْلِهِ ،
 وَلَا سِيَّيَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ

وقال آخر:

إِذَا نَزَلَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بِبِلْدَةٍ ،
 رَأَيْتَ بِهَا عُشْبَ السَّامَةِ يَنْبُتُ

ووجه المأمون إلى طاهر بن الحسين بمائة ألف دينار ،
 فصادفه الرسول وهو راكب فتتبعه على ظهر فرسه فقسمها
 وسار ولم يبق منها دينار واحد
 وأخبرنا أبو القاسم بن شيران ، عن عبد الرحمن بن جعفر ،

(١) يعني يوم الحرب

(٢) في الأصل « أبو البصير » وأثبتنا اسمه بين قوسين وهو

زيادة من عندنا

عن الغلابي ، عن ابراهيم ، عن الاصمعي قال : لما ولدت ابنة
جعفر محمداً قال مروان بن أبي حفصة :

لله درك يا عقيلة جعفر

ماذا ولدت من الندى والسودد !

إن الخلافة قد تبين نورها

للتأطرين على جبين محمد

إني لأعلم إنه خليفة

إن يئعة عقدت وإن لم تعقد

فأمر له هارون بثلاثة آلاف دينار ، وأمرت زبيدة أن

يحشى فوه جوهرا ، فكانت قيمة الجوهر عشرة آلاف دينار

وأخبرنا أبو القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن الغلابي ، عن

سعيد بن محمد الخراساني قال : دخل ابن أبي الخيس على المهدي

— وكان أعرايياً بدوياً — فأنشأ يقول :

خليفة الله المصطفى بالكرم

يا خير من طبق نعلًا بقدم

فدناك نفسي من معاريض السقم

عدت بقبر الهاشمي بالحرم

بَقِيرَ عَبْدِ اللَّهِ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ (١)

وَعُدْتُ بِالْمَهْدِيِّ مِنْ دَيْنِ جَحْمٍ ...

عَلَى حَتَّى سُلِّ جَسْمِي فَأَهْدَمَ

فَجَلَّ عَنِّي غَمَّةٌ مِنْ الْغَمِّ

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : نِعَمَ مَا ذُخِّلَتْكَ (٢) يَا ابْنَ أَبِي الْخَيْسِ .

حَاجَتَكَ ! قَالَ : دَيْنِي . قَالَ : فِكَمْ هُوَ ؟ قَالَ : خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ،

قَالَ : يَا غِلَامَ ! أَعْطِهِ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ لَهُ بِهَا ، التَفَتَ

إِلَيْهِ وَقَالَ : بَقِرَ أَبَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا

جَعَلْتَهَا دَنَانِيرَ ، قَالَ : اجْعَلُوهَا دَنَانِيرَ !

وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْغَلَابِيِّ ، عَنْ

الزُّبَيْرِ قَالَ : اسْتَنْشَدَ الْمَهْدِيُّ جَدِّي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ نَسِيبًا

حَلُوءًا فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْأَحْوَصِ :

(١) قَبْرِ الْهَاشِمِيِّ الَّذِي بِالْحَرَمِ هُوَ قَبْرُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَاسْمُهُ

(عَبْدُ اللَّهِ) كَمَا ذَكَرَهُ هُنَا ، وَقَدْ دُفِنَ أَبُو جَعْفَرٍ بَيْتِ مَيْمُونٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

وَالْمَهْدِيُّ وَلَدُ أَبِي جَعْفَرٍ

(٢) فِي الْأَصْلِ «مَلَأَ جِلْدَكَ» وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا تَوَهَّمْنَاهُ فَأَثْبَتْنَاهُ .

وَالْخَلَّةُ الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

خمس دَمَسْنَنَ إِلَى فِي لَطْفٍ حُورُ الْعَيُونِ نَوَاعِمُ زُهُرٍ (١)
 فَطَرَقْتَهُنَّ مَعَ الرَّسُولِ وَقَدْ نَامَ الرَّقِيبُ، وَحَلَقَ النَّسْرُ (٢)
 مُسْتَبْطِنًا - لِلْحَيِّ إِنْ فَرَعُوا - عَضْبًا يَلُوحُ بِمَتْنِهِ أَثَرُ (٣)
 فَمَكَثْنَ، لَيْلَتَهُنَّ نَاعِمَةٌ حَتَّى اسْتَفَقْنَ وَقَدْ أَضَاءَ الْفَجْرُ (٤)
 بِأَشْمٍ، مَعْسُولٍ مُزَاحَتُهُ، غَضُّ الشَّبَابِ، رِداؤُهُ غَمْرُ (٥)

(١) ذكر الأبيات بنماها أبو الفرج في الاغانى ج ١٦ ص ٨٩
 (الساسى) وقد وضعنا الزيادة التى بين الأقواس من الاغانى إذ بغيرها
 تضعف الأبيات

دَمَسْنَنَ فِي لَطْفٍ : سِرْنُ فِي رَفَقٍ مُتَخَفِيَاتٍ ؛ زُهُرُ : جَمْعُ زَهْرَاءَ ،
 مِنَ الزُّهْرَةِ وَهِيَ الْبَيَاضُ النَّيِّرُ كَاللُّوْلُؤَةِ
 (٢) النَّسْرُ : أَحَدُ النَّسَرِيِّينَ مِنْ نَجُومِ السَّمَاءِ وَهِيَ الطَّائِرُ وَالْوَاقِعُ .
 وَتَحْلِيْقُهُ ارْتِفَاعُهُ وَذَلِكَ فِي أَوْسَطِ اللَّيْلِ
 (٣) اسْتَبْطَنَ السَّيْفُ جَعَلَهُ تَحْتَ خَصْرِهِ ، وَالْعَضْبُ : السَّيْفُ
 الْمَاضِي ، وَالْأَثَرُ : مَا يَكُونُ بِالسَّيْفِ مِنْ دِيْبَاجَتِهِ وَفَرْنَدِهِ وَلَمَعَانِهِ
 (٤) أَضَاءَ : مَسْهَلَةٌ عَنْ إِضَاءَةٍ . وَفِي الْاِغَانِي « بَدَأَ »
 (٥) الْأَشْمُ : هُوَ هُنَا السَّيِّدُ الْكَرِيمُ ذُو الْأَنْفَةِ . مَعْسُولٌ مُزَاحَتُهُ حُلُو
 الْفِكَاهَةِ وَالِدَعَابَةِ . الْغَمْرُ الْوَاسِعُ ، وَيَقُولُونَ رَجُلٌ غَمْرٌ الرِّدَاءُ يَعْنُونَ بِذَلِكَ
 أَنَّهُ وَاسِعُ الْخَلْقِ سَخِيٌّ كَثِيرُ الْمَعْرُوفِ وَإِنْ كَانَ رِداؤُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ صَغِيرًا

[زَوَّلَ بَعِيدُ الصَّيِّتِ مُشْتَهَرٌ
قَامَتْ تُخَاصِرُهُ لِكَلَّتِهَا
سَيْفَانَةٌ أَشْرُ الشَّبَابِ بِهَا
وَتَرَجَعًا مِنْ دُونِ نِسْوَتِهَا
كُلُّ يَرَى : أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ
جَابَتْ لَهُ جَيْبُ الدُّجَى عَمْرُ^(١)
تَمْشِي التَّائُدُ غَادَةً بِكْرُ^(٢)
رَقْرَاقَةٌ لَمْ يُبْلِهَا الدَّهْرُ^(٣)
كَلِمًا تُسَرُّ كَأَنَّهَا سِخْرُ^م
- فِي كُلِّ غَايَةٍ صَبُوءَةٌ - عَذْرُ^م

(١) ورد هذا البيت في الاغانى هكذا :

« زرن بعيد الصيت مشتهر جيبت له جيب الرحي عمرو »

ولا معنى له ، واجتهدنا فلم نعثر عليه ، فتوهمنا صحته فيما أثبتنا .
والزول : الغلام الخفيف الروح الظريف وجيب الدجى : ثوبه المظلم
الأسود وجابت : شتمته بنورها وحسنها . وعمر : عمرة اسم امرأة
عناها ، إذ أنه في البيت قبل ذلك ذكر نسوة فقال « فعكفن » ثم قال
في البيت الذي بعد هذا « قامت نخاصره » ولا يستقيم البيت إلا اذا
ذكر امرأة بعينها قبله

(٢) تخاصره : يدها في يده . والكلة . خدرها

(٣) سيفان : ضامرة البطن شطبة كأنها نصل سيف . والأشر :
الروح والنشاط وأصله في الاغانى « أمر » ولم نتمين لها معنى . والرقراقة
البراقة كأن الماء يجري في وجهها

حَتَّى إِذَا أَبَدَى مَوَدَّتَهَا وَبَدَا هَوَاهَا مَالَهُ سِتْرٌ^(١)
 سَفَرَتْ وَمَا سَفَرَتْ لِمَعْرِفَةٍ وَجْهًا أَغْرَّكَ أَنَّهُ الْبَدْرُ
 وَأَنشده لصخر بن الجعد [الخضري] (٢) :
 [هَنِئًا لِكَأْسٍ قَطَعُهَا الْخَبْلُ بَعْدَ مَا
 عَقَدْنَا لِكَأْسٍ مَوْعِدًا لَا نَخُونُهَا^(٣)]
 وَإِشْمَاتُهَا الْأَعْدَاءُ حِينَ تَأْلَبُّوا
 حَوَالِيَّ ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضُغُونُهَا^(٤)
 فَإِنْ تَصْرَمِي ، وَكَلَّتْ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ ،
 وَأَشْمَتُ أَعْدَائِي فَقَرَّتْ عُيُونُهَا
 فَإِنَّ حَرَامًا أَنْ أَخُونَكَ ، مَا دَعَا
 مَعَ اللَّيْلِ قُرَى الْحَمَامِ وَجُونُهَا^(٥)

- (١) في الأغاني « حتى إذا أبدى هواها لها »
 (٢) ورد شعر صخر في الأغاني (سأسي) ج ١٩ ص ٦٧ و ٦٨ وقد
 أثبتنا الزيادات بين أقواس كما ترى لجودة هذه الكلمة
 (٣) كأس هي صاحبتة ، وله معها حديث طويل
 (٤) الضغون جمع ضغن وهو الحقد
 (٥) في الأغاني وغيره « ببُلبَل قُرَى الحمام » ولعله موضع ببلاد

وما طرد الليلُ النهارَ ، وما بكت
 على شجر ورقة شاح رنينها
 وقد أيقنت نفسي بأن حيلَ بينها
 وبينك لو يأتي بيأسٍ يقيمها
 ولكن أبت أن تستفيق ، ولا ترى
 سُلوًا ولا مجلودَ صبرٍ يُعينها (١)
 [لو أنا إذ الدنيا بنا مطمئنة
 دجا ظلها ثم ارجحت غصونها (٢)
 لهونا ، ولكنا بغرة عيشنا
 عجبنا لدنيانا فكذنا نعينها (٣)
 وكنا إذا نحنُ التقينا ، وما نرى
 لعينين إلا من حجاب يصونها

الخضر ، والقمرى ضرب من الحمام أبيض . والجلون : بضم الجيم جمع
 جون بفتح فسكون وهو من الحمام أسود مشرب بحمرة
 (١) في الأصل « أبت لي أن تستبل يوما وأن ترى » ورواية
 الاغانى أوضح . والمجلود : الجلد وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول
 (٢) دجا : امتد وانبسط . ارجحت : اهتز
 (٣) بفتح النون من عان الشيء يعينه إذا أصابه بالعين

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وأوساطها حتى تَمَلَّ فُنُونُهَا [
فأعطاه سبعة آلاف دينار

وأخبرنا أبو القاسم بن شيران ، عن عبد الرحمن بن جعفر ،
عن الغلابي ، عن جعفر بن أحمد النوفلي ، عن محمد بن أيوب بن
جعفر بن سليمان قال : كان بالبصرة فتى من بني تميم ، . . . وكان
شاعراً ظريفاً فاستشارني في مدح المأمون وقصده ، فلم أشر عليه
به ، لِقِلَّةِ رغبة المأمون - كانت - في الشعر ، فقال : رَبِّمَا زَهْدُ
الرَّجُلِ فِي الشَّيْءِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ . فخرج والمأمون « بَسَلْغُوس » (١)
قال : فخرجت بَسَحَرَ نحو العسكر فلقيت رجلاً على بغل أسود
ما رأيته مثله ، فسألني عن مقدمي ، فذكرت له أنني قصدتُ

(١) في الاصل « بَسْفُوس » ولم نجد لها ولعل الصواب ما أثبتناه
فان المأمون غزا حصناً من حصون الثغور بعد طرطوس اسمه « سَلْغُوس »
بفتحين ثم ضمة . وقد ذكر الطبري في تاريخه سيره اليه في أحداث
سنة ٢١٧ ثم ذكر شخوصه منه الى الرقة في أول أحداث سنة ٢١٨ .
وقد ذكر الطبري هذه القصة عن محمد بن أيوب نفسه بأطول من هذا
وأضبط معنى فراجعها في ج ١٠ ص ٢٩٧ و ٢٩٨

المأمون بشعر خفيف حلو ، فاستنشدنيه فقلت : إنما قصدت
الخليفة ، فقال : أنشدنيه فإن كان على ما تصف لأصلناك ،
ولأحملناك على بغلي هذا ، فأنشدته :

مأمون ! يا ذا المن الشريفة ، وصاحب المرتبة المنيفة
وقائد الكتيبة الكثيفة ، هل لك في أرجوزة ظريفة ؟
أظرف من فقه أبي حنيفة ، لا والذي أنت له خليفة ...
ما ظلمت في أرضنا ضعيفه ، أميرنا مؤنته خفيفة
ما يجتبي شيئاً سوى الوظيفه ، فالذئب والنعجة في سقيفه
واللص والتاجر في قطيفه

قال : فضحك واستطاب الشعر ، وأوماً الى واحد من
غلماناه فجاء ير كض ، فقال : كم معك ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار ،
قال : أيدئها الى السعدي . ثم قال : وقينا لك ؟ قلت : والله
ما هذا وفاء ، هذا عطاء البحر اذا زخر ، وضرب كفلاً بغله
وانصرف

فهؤلاء - أيدك الله - أعطوا هذا الكثير ولم يحظوا من
الذكر بما حظي به مُعطى القليل . فليس ينبغي أن يُستحى من

إِعْطَاء مَا كَسَبَ مِثْلَهُ الذِّكْرَ الْبَاقِي فِي الْأَعْقَابِ ، الْمُسْتَغْرِقِ
لِمَدَى " الْأَحْقَابِ ، الَّذِي لَا تَقْدَحُ فِيهِ الْأَزْمَانُ ، وَلَا تَتَحَيَّفُهُ
صُرُوفُ الْحَدَثَانِ

وَأَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ :

وَكُنْتُ إِذَا دُعِيتُ إِلَى طَعَامٍ

أَجَبْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنِّي تَوَكُّنٌ

ظَلَمْنَا - مِنْ بَشَاشَتِنَا - كَأَنَّا

بِیَوْمٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ

فَذَكَرَ أَنَّهُ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ لَمْ يَكِدْ فِي تَحْصِيلِهِ سُرَّ سُرُوراً

وَبَشَّ بَشَاشَةً لَيْسَ لَهُ بِمِثْلِهَا عَهْدٌ فِي زَمَانِهِ

وَرَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ

الْمُقَرَّضَ بَخِيلًا ، إِنَّمَا كَانَتْ مُوَاسَاةً

وَمَا هُوَ دَاخِلٌ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى

عَنْهُ : « إِنْ صَدَقَ أَحَدُكُمْ يَقْبَلُهَا اللَّهُ وَيُرِييَهَا كَمَا يُرِيِّي أَحَدُكُمْ

فِلْوَهُ وَفَصِيلَهُ ، حَتَّى اللَّقْمَةُ تَصِيرُ مِثْلَ أَحَدٍ »

وقالت بعض النساء : يا رسول الله ! إنه يأتيني السائل
فأتزهد له بعض ما عندي^(١) ، فقال : ضعي في يد المسكين ولو
ظليفاً محرّقا

وقال عبد الله بن مسعود : كان راهباً عبد الله ستين
سنة ، فنزلت به امرأة فواقعها ست ليال ، ثم ندم فهرب ،
فأتى مسجداً فكث ثلاثاً لا يطعم ، فأتى برغيف فأعطى نصفه
رجلاً عن يمينه ، ونصفه رجلاً عن يساره ، ثم قبضه الله ، فوضع
عمل ستين سنة في كفة ، ووضعت السيئة في كفة فرجحت .
فجىء بالرغيف فرجح بالسيئة

وكان عند عائشة طبق عنب ، فجاء سائل فدفعت إليه حبة
واحدة منه ، فضحك نساء كن عندها فقالت : إنما فيما ترين
مناقيل در كثيرة أرادت قول الله تعالى : « فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ »

وسأل رجل ابن عبيد الله بن زياد فأعطاه درهما ، فقال :
أصلح الله الأمير ، صاحب العراق وخليفة أمير المؤمنين يُعطى

(١) تنوخي أن تعطيه الزهيد : القليل الحقير

درهما ! فقال : نَعَمْ ، إِنَّ مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رُبَّمَا رَزَقَ أَخَصَّ عِبَادِهِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ وَسِمْلَةَ اللَّقْمَةِ وَالتَّمْرَةِ ،
فَمَا يَكْبُرُ عِنْدِي أَنْ أَصِلَ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ،
وَلَا يَصْغُرُ عِنْدِي أَنْ أُطْعِمَ سَائِلًا رَغِيْفًا - إِذَا كَانَ الْجَوَادُ
الْكَرِيمُ يَفْعَلُ ذَلِكَ

ومثلُ هذا الخبرُ خبرُ المنصور مع « سَلَمِ الحَادِي » وقد
ذكرناه في « كتاب الدينار والدرهم » ونورده ههنا لمجانسته ما قبله .
وهو الذي أخبرناه أبو أحمد ، عن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن
ابن الفضل ، عن إبراهيم بن السندی بن شاهك ، عن الفضل
ابن الربيع ، عن أبيه قال : حُدا « سَلَمِ الحَادِي » بين يدي أبي
جعفر بطريق مكة وهو حاج :

أَغْرُ يَنْ حَاجِيَّهِ نُورُهُ	إِذَا تَغَدَّى رُفِعَتْ سِتُورُهُ
يَزِينُهُ حَيَاؤُهُ وَخَيْرُهُ	فَتَّى ، قَلِيلٌ فِي الْوَرَى نَظِيرُهُ
يَضْحَكُ مِنْ بَهَائِهِ سَرِيرُهُ	وَمِسْكُهُ يَشُوبُهُ كَافُورُهُ

أَوْدَى الصَّبَا ، وَتَفِدَتْ زُهُورُهُ ،

وَالْقَلْبُ قَدْ أَهْلَبَهُ سَعِيرُهُ

وَالْحُبُّ دَائِمٌ هَالِكٌ أَسِيرُهُ لَأَشْيَاءُ يُرْدِي الْهَمُّ أَوْ يُثِيرُهُ
إِلَّا رَوَّاحُ الصَّبِّ أَوْ بُكُورُهُ فَوْقَ خَدَبٍ جَائِلٍ ضَفُورُهُ (١)

قال فاستحسن أبو جعفر الأبيات وضرب برجله وقال :
ياربيع ! أعطه نصف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! نصف درهم ؟
لقد حدثت بها بين يدي هشام فأمر لي بمائة ألف درهم ، فقال :
مائة ألف درهم من مال الله ! ما كان له أن يُعطيكها ، وما كان
لك أن تأخذها ، ياربيع ! استخرجها منه . قال : يا أمير المؤمنين !
قد والله وصلت بها القرابة ، وحملت بها الكل ، وأنفقتها على
الولد ، وما بقي منها شيء . قال : فما زلت أسفر بينه وبينه حتى
ضمن أن يحدو به ذاهباً وجائياً ، ولا تلزمه مؤونة ، فقلب
بعض الشعراء هذا المعنى فقال :

كُوَيْتِبَ يَرْفَعُهُ تَصْغِيرُهُ كَأَنَّمَا تَصْغِيرُهُ تَكْبِيرُهُ
لَمْ يَرَفِ فِي سُقُوطِهِ نَظِيرُهُ السَّكْبُ مِنْ أَخْلَاقِهِ يَمِيرُهُ
وَالْقِرْدُ يَحْكِيهِ وَيَسْتَعِيرُهُ أَقْبَحُ مِنْ ظَاهِرِهِ ضَمِيرُهُ

(١) الخدب من الابعار الصلب الشديد الضخم . والضفور : جمع
ضفر وهو ما يشد به البعير من الشعر المضافور ، والكناية في قوله « جائل
ضفوره » عن هزاله وضعفه من جهد السير له

إِذَا تَغَدَّى أُطْبِقَتْ سَتُورُهُ
وَحُرِسَتْ حَيْطَانُهُ وَسُورُهُ
وَقَامَ عِنْدَ سِتْرِهِ نَذِيرُهُ :
خَلَقَ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا يَزُورُهُ
فَإِنَّ دَنَا أَحْرَقَهُ سَعِيرُهُ
خَلَقَ ، وَلَا يُرْجَى لَهُ جَبُورُهُ
ثُمَّ عَلَا مِنْ كِظَّةٍ زَفِيرُهُ
وَأُثْبِتَتْ مِنْ خُبْرِهِ كُسُورُهُ
وَدَارَ فِي الدَّارِ بِهَا وَزِيرُهُ
وَسَمَرَتْ أَبْوَابُهُ وَدُورُهُ
وَالدَّيْدَانُ فَوْقَهَا نَاطُورُهُ (١)
لَا يَقْرَبُ الْبَابَ وَلَا يَطُورُهُ (٢)
إِلَّا شَقَى غَرَّهُ غُرُورُهُ
وَكَسَرَتْ سَاقَاهُ ، لَا يُجِيرُهُ
حَتَّى إِذَا اسْتَوَفَى وَطْمُ يِيرُهُ (٣)
وَأُخْصِنَتْ مِنْ بَعْدِهَا قُدُورُهُ
وَحَصَلَتْ فَضْلَاتُهُ وَسُورُهُ (٤)
وَصَارَ فِي دِيْوَانِهِ تَوْفِيرُهُ (٥)
عَادَ إِلَيْهِ عَائِدًا سُورُهُ

قال : وسمعت أصحابنا يتحدثون أن رجلا حمل لرجل حملاً
وبلغ به غاية بعيدة ، فأعطاه « قيراطاً » فاستحققره واستزاده ،

- (١) الناطور والناطور : حافظ الزرع والكرم
- (٢) طاره يطوره : حام حوله ودنا منه
- (٣) طم . امتلا . ويعنى بالبر بطنه في سعته
- (٤) سوره : مخففة من سوره وهو بقية الماء في الاناء
- (٥) في الاصل « تزفيره »

فقال : أَلَسْتَ حَقِيرَهُ ، وَإِنَّكَ لَوِ اشْتَرَيْتَ بِهِ رَغِيْفًا فَأَكَلْتَهُ دَفَعْتَ بِهِ
يَوْمَكَ ، وَكَسَبْتَ عَلَيْهِ أَضْعَافَهُ ؟ أَوْ قَرَبَةً مَاءٍ كِفَاكَ فِي شُرْبِكَ
وَطَهْرُكَ يَوْمِينَ ؟ أَوْ بَاقَةَ بَقْلِ زَيْنَتَ بِهَا مَائِدَتَكَ ، وَطَبِئْتَ فِي
أَكْلِكَ ؟ أَوْ مِلْحًا أَجْزَأَكَ فِي طَبِيخِكَ وَغَيْرِهِ أَيَّامًا ؟ أَوْ أَشْنَانًا
كَفَاكَ فِي تَطْيِيبِ يَدِكَ مُدَّةً ؟ أَوْ دَخَلْتَ بِهِ الْحَمَّامَ نَقَّيْتَ جَسَدَكَ ؟
أَوْ ابْتَعْتَ بِهِ الصَّابُونَ نَظَّفْتَ بِهِ ثَوْبَكَ ؟ أَوْ احْتَجَجْتَ إِلَى عُبُورِ
نَهْرٍ كَانَ مُقْنِعًا لِمَلَّاحِكَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ ؟ لَقَدْ صَغُرْتَ
عَظِيمًا ، وَاسْتَحَقَرْتَ جَسْمًا . فَاذْطَلِقِ الرَّجُلَ بِهِ وَلَمْ يَمَّا كَسَهُ
وَقَرِيبٌ مِّنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَجُلٍ : ادْفَعْ لِي دُرِّيهِمَا ،
فَقَالَ : أَتَصْغُرُهُ ؟ إِنَّهُ عَشْرُ الْعَشْرَةِ ، وَالْعَشْرَةُ عَشْرُ الْمِائَةِ ،
وَالْمِائَةُ عَشْرُ الْأَلْفِ ، وَالْأَلْفُ عَشْرُ دِيْنَتِكَ ^(١)
وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ الْهَاشِمِيِّينَ زَارَ مُحَمَّدَ بْنَ يَسِيرٍ فَأَحْضَرَهُ
خُبْزًا قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ ، وَتَمْرَاتٍ ، فَقَالَ الْهَاشِمِيُّ : هَذَا جُودُ
الْأَذْوَاء ... ، يَرِيدُ أَنَّهُ مِنَ الْيَمَنِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ :

(١) فِي الْأَصْلِ « دِينَكَ » بَيَاءٌ ثُمَّ نُونٌ وَلَا مَعْنَى لَهُ ، وَالصَّوَابُ
مَا أَثْبَتْنَاهُ لِأَنَّ الْأَلْفَ قَرِيبٌ يَمْنُ عَشْرُ دِيْنَةِ الْمُسْلِمِ وَذَلِكَ أَنَّ دِيْنَةَ الْمُسْلِمِ
الْحَرِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ

لقلَّ عاراً - إذا ضيَّفَ تضيِّفني -

مَا كَانَ عِنْدِي ؛ إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي
جُودُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاكَ نَائِلُهُ ،

وَمُكْتَرٍ فِي الْغِنَى ، سَيَّانٍ فِي الْجُودِ (١)

وقال غيره :

أَقِلُّ وَأُثْرِي ، كُلُّ ذَاكَ يَسْرُنِي ؛

وَلِلدَّهْرِ وَالْإِنْسَانِ حَالٌ تَقَلَّبُ

وَيَلْزُمُنِي حَقٌّ فَلَا أُسْتَطِيعُهُ ،

وَلَا يَنْفَعُ الرَّاجِينَ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ

وَمَا أَبْطَلَ الْإِعْدَامُ حَقًّا لِرَاغِبٍ ،

وَلَكِنَّهُ فِي حَالَةِ الْيُسْرِ أَوْجَبُ

ومثل هذا - أَيْدِكَ اللَّهُ - كثير ، وفيما سقته إليك كفاية

لك ... إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى »

تم

(١) حق المعنى ان يقول « ومكثر من غنى »

فَهْرَسْت كِتَابُ فَضْلِ الْعَطَاءِ عَلَى الْعُسْرِ

عَبْدُ اللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ الْفَارِسِيُّ

صفحة

٣ مقدمة الناشر

٤ كلمة في الجود لمحقق الكتاب الاستاذ محمود محمد شاكر

١٣ خطبة المؤلف

١٤ الموازنة بين الجود عن يسارٍ وجِدَّة ، وبين جهد المقلِّ

١٥ بعض ما قيل في جهد المقلِّ

١٥ كتاب بعث به كلثوم بن عمرو العتابي الى رجل في حاجة

١٦ أبيات لعلها للعتابي في بخل العباس بن محمد بن علي العباسي

١٧ ما مدحت العرب بمثل الاعطاء على العُسْرِ

١٨ ثناء عبد الملك بن مروان على عُرُوة بن الورد لشعر قاله

١٩ أبيات لعنتية بن بجير الحارثي

١٩ (هامش) من عادة العرب أن يَنْبَح طارقُ الليل

٢١ ثناء هارون الرشيد على شعر اسحاق الموصلي

٢١-٢٢ أبيات اسحاق التي أثنى عليها الرشيد

صفحة

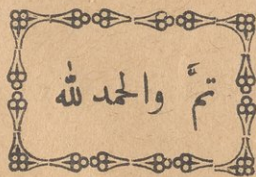
- ٢٢ مدح الفرزدق يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج
 ٢٣ عبد من عبيد العرب اقتبس من كرمهم وأخلاقهم
 ٢٤ ذم الاعطاء بغير كرم ، وأبيات ابراهيم بن العباس
 ٢٤ مدح أشجع السلمي يحيى بن جعفر بالاعطاء على الاقلال
 ٢٥ كلمة ابن المعتز في العطاء على العسر
 ٢٥ أبيات ابن الرومي في مطل البخيل
 ٢٦ قول العرب « ان الرثيئة تفنأ الغضب »
 ٢٧ أبيات في تفضيل القليل على المنع
 ٢٨ هدية صديق مملق ظريف ، وكتاب منه لطيف
 ٢٩ هدية أبي يحيى الكنخى الى مغنية في يوم اقتصادها
 ٣٠ الاعرابي وابن عائشة في زمن اضاقة
 ٣١ بكاء سفيان بن عيينة لعجزه عن اجابة سائل
 ٣٢ أجواد العرب : حاتم وابن مامة وهرم
 ٣٢ أبيات زهير في هرم
 ٣٢ حاتم يفدى أسيراً باطلاقه والاقامة في قدّه
 ٣٣ التصافن . وقصة الفرزدق مع عاصم العنبري
 ٣٤ تصافن كعب بن مامة ورجل تميمي
 ٣٥ بعض ما قيل في مدح القليل
 ٣٥-٣٦ أبيات نفيسة رواها ابن الاعرابي

صفحة

- ٣٧ أبيات لجابر بن ثعلب الطائي وابن الرومي وغيرهما
 ٣٨ أبيات لاوس بن حجر والحسين بن مطير وغيرهما
 ٣٩ تعجيل القليل خير من المثل في الكثير
 ٤٠ أبيات للمأمون في العرض السابري
 ٤١ المدح بالكرم غنيمة لا يساويها العطاء مهما عظم
 ٤٢ صلاة نُفِيَّتْ لم تعصمه عن الذمِّ بالبخل
 ٤٣ سخاء اعرابي لعبيد الله بن عباس ومكافأة عبيد الله له
 ٤٤ ثناء معاوية على مكافأة عبيد الله للاعرابي
 ٤٥ ما قاله بعض الحكماء في مكارم الاخلاق
 ٤٦ أقوال أخرى للحكماء في الشح والاحسان
 ٤٧ رجل يحذو النعال يشفق على أبي جعفر المنصور ويحسن اليه
 ٥٠ رجل يعظ والياً جباراً من ولاية البصرة
 ٥١ أجواد العرب اشتهروا بالجود لانهم يعطون وهم محتاجون
 ٥٢ حاتم يذبح فرسه ليطعم الجائعين
 ٥٣ عفة يعقوب بن داود وعزة نفسه
 ٥٤ شفقة الامين على خادمه كوثروشة محبته له
 ٥٤ شعر للامين يحجزه عبد الله بن أيوب التميمي
 ٥٥ سخاء الامين
 ٥٥-٥٦ البرامكة يستميلون الناس بالبذل

صفحة

- ٥٧ سخاء طاهر بن الحسين
 ٥٨ سخاء الرشيد وزبيدة
 ٥٨-٥٩ أبيات ابن أبي الخيمس وعطاء المهدي عليها
 ٦٠ رائية الأوص ينشدها عبد الله بن مصعب المهدي
 ٦٢ نونية صخر بن الجعد » » »
 ٦٥ المأمون يثيب راجزاً وهو في طريقه الى حرب الروم
 ٦٦ قول عمر « كنّا نعدّ المقرض بخيلاً »
 ٦٧ أحاديث في الجود بالقليل
 ٦٨ حُداء سلم بين يدي المنصور ، وحدائره بين يدي هشام
 ٦٩ المنصور يريد استخراج جائزة هشام من سلم
 ٧٠ شاعر يقلب حذاء سلم ذمّاً
 ٧١ بعض أخبار البخلاء
 ٧٢ أبيات محمد بن بشير في جود المقلّ



School of Oriental Studies
 The American University

الحنين إلى الأوطان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

جمع فيه أبلغ وأبدع ما قالته العرب نظماً ونثراً في حنينها إلى
أوطانها، ووصف هذه العاطفة البشرية التي فاقت فيها أمة العرب
جميع أمة الأرض

صح أصله العلامة المحقق

السيد طاهر الجزائري

رحمه الله

طبعة ثانية منقحة في المطبعة السلفية سنة ١٣٥١

في ٥٤ صفحة * ثمنه قرشان

الميسر والقِداح

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

تضمن بيان حقيقة الميسر والقِداح في تاريخ العرب قبل الاسلام، وأنهم كانوا يفعلونه بدافع من عاطفة الرحمة اذا أصيبت مسارح القبيلة بالجدب؛ فيقترع سراة القبيلة وأغنياؤها بالقِداح فمن أصابته القرعة كان عليه أن يذبح من سوائمه ومواشيه لفقراء القبيلة يشبعهم من لحومها

ألف هذا الكتاب أديب العربية الاكبر عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، واستنبط أحوال العرب في هذا الباب من أشعارهم فجعل يتدبرها ويستدل على كيفية لعب العرب بالقِداح باعتبار ماذكروه في أشعارهم عنها

حقق هذا الكتاب، وشرحه، ونشره

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُتَيْبَةَ

تقويمنا الشمسى

بقلم محب الدين الخطيب

خلاصة تاريخية لما كان عليه التقويم الشمسى عند العرب قبل
الاسلام وبعده ، وكيف كانوا يؤرّخون ، وما هي الاشهر التى كانوا
يستعملونها للدلالة على الاوقات بسير الشمس

وفي هذه الرسالة دعوة موجهة الى الحكومات الاسلامية لاتخاذ
تاريخ شمسى هجرى ذى أشهر أمماؤها عربية بنظام أتقن من التاريخ
الافرنجى وغيره من التواريخ المعروفة الى الآن

أَيْمَانُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

لأبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيري

كاتب الدولة المصرية في عهد كافور

أوراد فيها جميع الصيغ التي كانت تستعملها العرب في
جاهليتها اذا أراد الواحد منهم أن يحلف يميناً

نسخها وصححها ووقف على طبعها

محمّد البدر المطيب

نقلا عن نسخة الخزانة التيمورية ، ونسخة دار الكتب المصرية

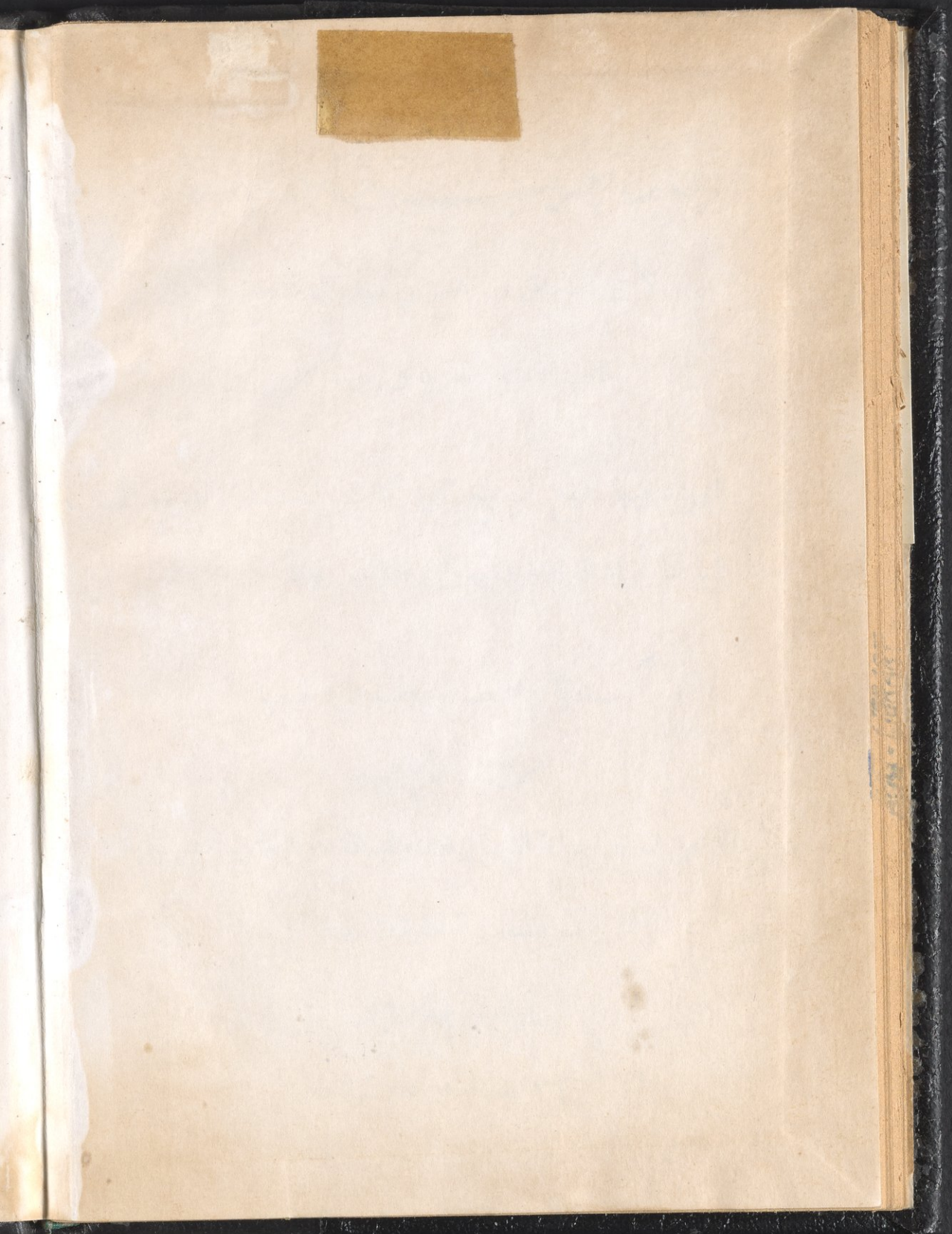
مع تعليقات وتحقيقات مهمة

وبأوله ترجمة المؤلف

٣٢ صفحة * ثمنه قرشان

2 MAY 1968

U.S. Air Force



i-12369962
b-13720144

2 MAY 1990

PJ
7530
.A7x
1934